مصابيح العلم

العدد 3
محرَّم 1440 - سبتمبر 2018
نشرة دعوية تُعنى بالتراث والمخطوط والسِير والتاريخ

مقالة الشِّرك ومظاهره
الشيخ مبارك الميلي

الشَّيخ محمد الهَبْري المَجَّاوي
الزَّارِع لِبَذْرَةِ الإِصلاح الأَوْلى بِالرَّمْشِي

من وصايا الإمام مالك بن أنس

مِن رِحْلَات الشَّيخ الأزهري ثابت

البرج الأحمر الذي بناه أبو الحسن المريني بوهران

جوابٌ في طلب العلم
عبد الحق الإشبيلي
ثمَّ البِجَائي
مخطوط ينشر لأول مرة

الفِهرس

التحرير/ سميـــــر سمـــراد
تصميم/ رؤوف بـــن الجـــودي

مصابيح العلم | العدد 3 | محرَّم 1440 - سبتمبر 2018





افتتاحية

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:102]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّساء:1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: 70-71]

أمَّا بعد: فإنَّ خيرَ الكلام كلام الله تعالى، وخيرَ الهدي هدي محمَّد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

فهذا هُو العدد الثالث مِن هذه النَّشْرَة، يَصدرُ بعد جهدٍ وَعناءٍ وَطُول انتظار وَجميل اصْطِبار، فأقرَّ الله أعيُننا وأعينَ المحبِّين بصدورِهِ، وأنسانَا ذلكَ بُروزه لقُرَّائه متأخرًا عن موعِدِهِ بمُدَّةٍ ليست بالقليلة، والعُذرُ عندَ الكرامِ مقبولُ. أخَّرتنا عوارِضُ طرَأت، وصعابُ كنَّا استسهلناها أولاً، وما ظنَّنا أنها تُباغتُنا مُبكِّرًا، غالبَتنا وغالَبناها، ثمَّ كانت بِحَمْدِ الله الغلبَةُ لنا آخرًا، فضلاً مِن الله ونِعمةً، وَها نحنُ لا زِلنا –بِمَدَدٍ مِن اللهِ وعَوْنٍ- مُثابِرين على صِلَةٍ عِلميَّةٍ نُريدُ لها أن لا تُقطَع، عازِمينَ على إدراكِ أُمنيةٍ لا نُريدُ لها أن تتلاشَى في أول امتحانٍ وَتختفِي لأولِ تعثُّرٍ... وأختِمُ بِكلماتٍ، لا زَالت تَتجدَّدُ على سمعِي وَيطَّوَّفُ صوتُ حروفِها بِأُذني: هِيَ لأحد شيوخِنا الكرام؛ كُنَّا نَأتيهِ في مجلِسِ درسٍ ونحنُ جماعةٌ انتظمها عَدُّ أصابع اليد الواحِدَة، وعلى كثرة الشواغل وَالصوارف وَالمعوقات، أقمنا على ذلك الدرس سنينَ عددًا، تتخللها انقطاعات، لكنها دامَت! فكان يُسلِّينَا(أطال الله بقاءَه وأجزل مثوبَته) ويبعثُ فينا روح المُثابَرَة وَيقوي عزائِمَنَا، وَيُهوِّنُ علينَا ما نجِدُهُ مِن عناء بقولِهِ: أَنتُم في تَحَدٍّ!... وكذلك أقولُ لمن يُتابعون هذه النَّشرَة ويَرجُون بَقاءَهَا: نَحنُ في تَحَدٍّ! فأسألُ اللهَ أن يجعلنا فيه مِن المُنتصِرين.

أبو محمّد
سمير سمراد



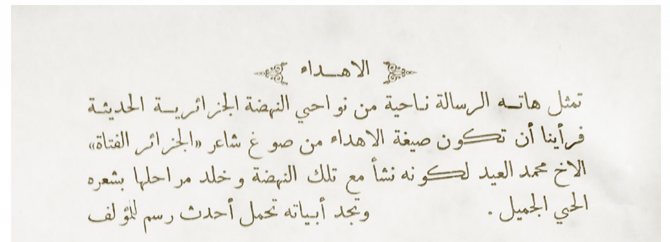
عقيدة وتوحيد

الشِّرك ومَظَاهِرُه

لحضرة العلاَّمة الأستاذ الشيخ مبارك الميلي

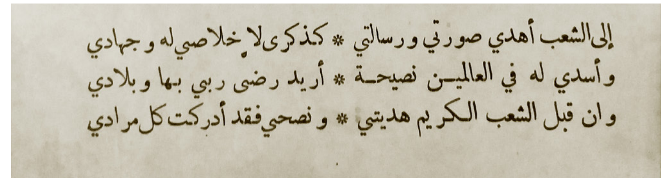
أمين مال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين





الاهداء

تمثل هاته الرسالة ناحية من نواحي النهضة الجزائرية الحديثة فرأينا أن تكون صيغة الاهداء من صوغ شاعر «الجزائر الفتاة» الاخ محمد العيد لكونه نشأ مع تلك النهضة وخلد مراحلها بشعره وتجد أبياته تحمل أحدث رسم للمؤلف الحي الجميل .



إلى الشعب أهدي صورتي ورسالتي * كذكرى لاخلاصي له وجهادي

وأسدي له في العالمين نصيحة * أريد رضى ربي بها وبلادي

وان قبل الشعب الكريم هديتي * ونصحي فقد أدركت كل مرادي

الشِّركُ أبو المساوئ وكُلِّيَّةُ الرذائل ومَعمَل الموبقات، فهو مَعصيةٌ لا تُجْدِي معها طاعة، ومَنْقَصَةٌ لا يجزئ عنها كمال، وضَعَةٌ لا يقوم منها عِزٌّ، وسَفَهٌ لا تَرْشُدُ به نفس.

والشِّركُ لولا الجهل ما نَجَمَ له قَرْن، ولولا الوَهْم ما حَبَى لَهُ عُود، ولولا العَادَة ما امْتَدَّ لهُ عِرْقٌ، فهو شجرةٌ خبيثةٌ ثراها الجهالة، وسُقياها الخيال، وعُرُقَاتُها الاعتِياد، وجَنَاهَا نارٌ حُفَّت بالشهوات، وعارٌ سُتِرَ بالتُّرَّهَات، فلا كان الجهل القبيح، ولا كان الوَهْم الضارُّ، ولا كانت العادة الفاسدة، ولا كان الشِّركُ ونتائجه السيئة.

إن كُنتَ باحثًا في عِلَلِ انحطاط الأُمم فلن تجد كالشِّركِ أَدَلَّ على ظُلمة القلوب وسَفَهِ الأحلام وفساد الأخلاق، ولم تجد كهذه النقائص أضرَّ بالاتِّحاد، وأَدَرَّ للفوضى وأذلَّ للشعوب.

وإن كُنتَ باحثًا عن أسباب رُقيِّ الأُمم فلن تجد كالتوحيد أَطْهَرَ للقلوب وأَرْشَدَ للعقول وأَقْوَمَ للأخلاق، ولن تجد كهذه الأُسُوس أَحْفَظَ للحياة وأَضْمَنَ للسيادة وأقوى على حَمْلِ منار المدنية الطاهرة.

وإنَّ نظرةً في حياة العرب قبل البعثة لتُؤَيّد ما أضفناه إلى الشِّرك مِن عِلَلٍ ونتائج، وإنَّ وقفةً على حياة العرب بعد البعثة لتُصدِّق ما أَنَطْنَاهُ بالتوحيد مِن أسباب وثمرات، وإنَّ تلك النظرة وهاته الوقفة لَمِفتاحان لسِرِّ حياة المسلمين بعد عصر النبوة.

بماذا عُنِيَت تلك البعثة التي جَعلت من الجهل حكمةً ومن التَّفرُّق وحدةً ومن الضعف قُوَّةً؟؟

إنَّكَ لتجدها مَعنيَّةً بالدعوة إلى التوحيد وبالتحذير من الشِّرك، وإنَّكَ لتجد عنايتها تلك ظاهرةً في كتابها ظاهرةً في أطوارها ظاهرةً في أَهَمِّ مقاصدها.

فالكتابُ العزيز لا تكاد تَخْلُو سورةٌ مِن سُوَرِهِ مِن التوحيد ودلائله والشِّرك ورذائله، وكثيرٌ مِن سُوَرِه لا تكاد تجد فيها غير هذا الحديث، ومن أسلوبه الحكيم جَمْعُه في البيان بين التوحيد وشواهده والشِّرك وعوائده. «وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ»

وقد أهمل علماء الكلام هذا الضَّربَ مِن البيان، واقتصروا على الوحدانية وأقسامها، فخَفِيَ على النَّاس الشِّركُ ووجوهُه...[1]

وأطوارُ البعثة مِن يوم نزول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[العلق:1] إلى نزول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[المائدة:3] لا تَخْلُو مِن ذِكرِ التوحيد والتَّنبيه إلى آياته وذِكرِ الشِّرك والتنفير مِن غاياته، ولكن عنايتها بذلك في الطَّور الأول أشد حتى ليكاد غَرَضُ البِعثة يومئذٍ يَنحصرُ في هذا المقصد.

افتَح المصحف، واقرَأ، وتدبَّر، تجد السُّوَرَ مكِّيَّها ومدنِيَّها لا تكاد تَخْلُو من حديث الشِّرك والمشركين، وتجد المكِّيَّ منها يكاد يختص بهذا الحديث. وإنَّ أَوَّلَ ما نزل - وهو الآيات الخمس الأُوَل مِن سُورة العلق- لم يَخْلُ مِن الإشارة إلى التوحيد والشِّرك.

قال ابن حجر في فتح الباري: «وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبَداءة فيها بِبِسم الله، وفي هذه الإشارةُ إلى أصول الدين»[2].

وإن أهمَّ مقاصد البعثة هي أركان الإسلام الخمس،

---

1) هُنا فقرةٌ حذفتُها

2) انظر: «فتح الباري» (8/719)، ط. دار المعرفة.

مبارك الميلي

فقولُ «لا إله إلا الله» صريحٌ في إثبات التوحيد ونفي الشِّرك. والصلاة تفتتحها بكلمة «الله أكبر»، وتَشرع في الفاتحة فتقرأ فيها: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[الفاتحة:5]، والحج فاتحة الإحرام المصحوب بالتَّلبية وهي: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْك لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ والمُلْك، لا شَرِيكَ لَك».

لعلَّ هذا القَدر يَكفي لإثبات أنَّ عنايةَ الدين الإسلامي بإثبات التوحيد ونفي الشِّرك ظاهرةٌ في كتابه ظاهرةٌ في أطواره ظاهرةٌ في أركانه، وإن لم يكن هذا القدر كافيًا في ذلك فلا أقلَّ مِن أن يكون قد فتح لك باب التَّأمُّل في تلك الدَّعْوَى، فإن أنتَ أنعمتَ النظرَ فستُفْضِي إلى الإذعانِ إليها إن لم يكن بِعقلِك بَأْسٌ!

إذا أنت سَلَّمْتَ معي شدَّةَ عناية ديننا بشأن الشِّرك وعدم اقتصاره على بيان التوحيد، أفلا تعجب معي مِن قِلَّةِ اهتمامِ علماءِ ديننا بالكلام في الشِّرك؟ تجد في كلامهم على الفروع حُكْمَ مسائل نادرةِ الوجود أو هي لا وجود لها، ولا تجد في كلامهم على الأصول تفاصيل الشِّرك وتقرير معناه حتَّى يَرسخ في نفوس العامة بَلْهَ الخاصة، ويُصبحَ تصوُّرُه وتصوُّرُ مظاهرِهِ مِن الضروريات التي لا تُحْوِج العالم إلاَّ إلى التنبيه، ولا يرى به حاجة إلى الإستدلال والإستنتاج.

ولقد نتج عن قِلَّةِ الخوض في الشِّرك ومظاهره أَنْ صار الشِّرك أخفى المعاصي معنًى وإن كان أَجْلاَهَا حُكْمًا، فلِظُهورِ حُكْمِه وكونه من الضروريات ترى المسلمين عامَّتَهُم يَتبرَّؤُون منه، ويَغضَبُون كُلَّ الغضب إذا نُسِبُوا إليه، ولِخفاءِ معناه وقعَ مَن وقعَ فيه وهُم لا يشعرون، ووجدوا مِن أدعياءِ العِلم من يُسَمِّي لهم عقائد الشِّرك وأعمالَه بأسماء تَدخلُ في عقائد الإسلام وأعماله، ثم يدافع عنهم ويَحشُرُهم في زُمرةِ أهل السُّنَّة، ويُشَنِّعُ على العلماء الناصحينَ لِلعامَّة والمُحذِّرينَ لهم مِن الشِّرك ومظاهره، حتَّى إنَّهُ لَيُخيِّل إليك أنَّ العَامِّيَّ الواقعَ في حَمْأَةِ الشِّرك جهلاً واغترارًا أقربُ إلى السُّنَّةِ والاستقامةِ مِن العالِمِ بدينهِ النَّاصحِ لِقَومِه المُنكِرِ على هذه الأُمَّة ما أَنكرَهُ القرآنُ على الأُمَمِ الخَالِيَة.

ولعلَّ خفاءَ معنى الشِّرك من باب قَولِ البُوصيري: «ومِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الخَفَاءُ»[1].

ولعلَّ شدَّةَ ظهوره لِشدَّة عنايةِ الكتاب بِبَيَانِهِ هِيَ عُذرُ المتقدِّمين في قِلَّةِ اهتمامِهم بِهِ في كُتبِهم. ولكن ما عُذرُ أدعياءِ العِلم في زمانِنا الذين حَمَلُوا علينا حملاتٍ نَكْرَاء لأَنْ قُمْنَا بتفسيرِ آياتِ الشِّرك والخوضِ في هذا الموضوع نصيحةً للهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولِلمُسلمين.

[«البصائر»، العدد (5)، (ص:1-2)، الجمعة 6 ذي القعدة 1354هـ/31 جانفي 1936م]

1) «ديوان البوصيري» (ص40)، ط. دار الأرقم.

بين يدي مَقالةُ «الشِّرك ومظاهره»

أوْ قِصَّةُ تَحرير فُصُولِ كتابٍ وطبعِهِ في الجزائر

كتب مُؤرِّخُ الجزائر العلاَّمةُ الأثريُّ الشيخ مبارك الميلي رحمه الله سلسلةً من المباحث العلميَّة، كان ينشرُهَا تِبَاعًا تحت عنوان «الشِّرك ومظاهره»، وقد كشفت هذه السلسلةُ عن علم جَمٍّ، وتحقيق بارع، ومضى الشيخُ على هذه الطريقة، إلى أن اعتراه المرض في آخرها، فانقطع عنها مُدَّةً، بعد أن وصل إلى الجزء: (13) وقد نُشِرَ في: [«البصائر»، العدد (25) : 6 ربيع الثاني 1355هـ/26 جوان 1936م.(ص: 5-4)].

المرضُ يقطَعُ الشيخَ مبارك عن أعماله:

منع المرضُ الشيخَ «مباركًا» من القيام بمهمته في إعداد التقرير المالي السَّنوي للجمعية، وقد ناب عنه مراقب الجمعية الشيخ خير الدين، فأعدَّ التقرير، وفي مستهلِّه يقول: «...إني أقف أمامكم هذا الموقف بالنِّيابة عن أخي الشيخ مبارك الميلي الذي منعه المرض من تقديم الحساب المالي بنفسه، ومن كتابته التقدير المالي بقلمه، كما حرَمَنا ذلك من سماع بيانه الشافي ونصائحه الغالية التي عوَّدنا بها في كلِّ سنة، وإنني أَنتهز هذه الفرصة لأُقدِّمَ له بلسان المجلس الإداري الشكرَ والتقديرَ **لأعماله وجهوده المتواصلة في كل ما يُرقي الجمعية، ويُعْلِي من شأنها، وَالإعترافَ بأنَّهُ أدَّى للجمعية خدمةً لا يَقْدِرُ غَيْرُهُ أن يضطلع بها، خمس سنوات كاملة وهو قائمٌ بأمانة مال الجمعية جاهدٌ في ضبطه والمحافظة عليه، وضبط المال وحده عملٌ شاقٌّ، فكيف إذا انضافت إليه أعمالُهُ الأخرى من دروس متواصلة ورِحْلَات في مَصلحة الجمعية**، فنسأل لأخينا الشيخ مبارك شفاء عاجلاً وعافية سابغة آمين يا رب العالمين...»[2].

ثم استأنف الشيخُ كتابةَ هذه المباحث بعد شفائه، فَبَرَزَ الجزء: (14) [في العدد: (42) من «البصائر»]، أي: بعد انقطاع دام أكثر من أربعة أشهر بقليل، حدثت أثناءه حوادث؛ ترأَّسَتْهَا حادثةُ اتهام العقبي بقتل المفتي كَحُّول، وزردة ابن جلول؛ وكان الشيخ قد أشبع الموضوع في حكم «الزردة» بحثًا واستدلالاً، فكان لبحثه مقنع وأي مقنع للمتشوف إلى الحقيقة[3].

استبشار القُرَّاء بعودة مقالات «الشرك ومظاهره»:

وقد كتب على إثر ذلك أحد تلاميذ الشيخ ابن باديس

2) «البصائر»، العدد37، 16 رجب1355هـ الموافق لـ2 أكتوبر1936م،(ص:4).

3) انظر: تفاصيلَ هذه الحوادث في كتاب: «الشيخ بلقاسم بن روَاق سيرته ومنهجه الإصلاحي، ويليه: الزَّردة رأس كل شرٍّ، فاجتنبوها أيُّها المسلمون(بيانٌ من الكاتب العام للجنة الدِّعاية »(ص: 101-87).

(علي مرحوم) كلمةً: **«حول مقال الشِّرك ومظاهره: إلى الأستاذ الميلي»**: «وبعدُ: فكم كنَّا جدًّا مسرورين بعودة مقال «الشِّرك ومظاهره» إلى الظهور ذلك المقال الذي أتحفنا به العلاَّمة الجليل الشيخ مبارك الميلي منذ أشرق نور جريدة «البصائر» في الآفاق، وقد دلَّنَا هذا الظهور على زوال مرض الأستاذ وشفائه من ذلك الألم الذي كاد يقضي عليه وعلى النهضة العلمية الحديثة بميلة وضواحيها. وإنَّنَا لنَرْجُو أن يزول بزوال هذا المرض عن الأستاذ – الشِّرك من بعض مسلمي القطر الجزائري- السعيد. هذا وإنني على لسان المصلحين بهذه البلدة أرفع إلى الأستاذ وإلى جمعية العلماء أيضًا تهنئتي الحارة القلبية، وأحمد الله على هذه النعمة المجددة بشفائه على التوحيد والموحدين، والله لا يضيع أجر المصلحين»[1].

المقالةُ المتسلسلة: «الشِّرك ومظاهره»، واستحالَتُها إلى رسالة:

توقفت المقالات عند الجزء (17)، وعلَّقت «البصائر»: «هذا آخر ما كُتِب من هذا المقال قبل اجتماع جمعية العلماء، وقد علمنا بعد هذا الاجتماع وقبله أيضًا أن كثيرًا مِن القُرَّاء يرغبون في نشر هذا الموضوع «الشِّرك ومظاهره» في رسالة مستقلة. ولمَّا تأكدنا من هاته الرغبة وعرضناها على محرِّر الموضوع [الشيخ مبارك الميلي] أجاب بالقبول، وأنه ما زالت لديه فصولٌ منه أَمْسَكَ عن نشرها، **وسيعود –متى أمكن- إلى ما نُشِرَ في هذا الموضوع بِالتهذيب والتبويب**؛ ثم يُقَدِّمُ ذلك للطبع إن شاء الله»[«البصائر»، العدد (45)، (ص:8)].

الشيخ مبارك يَتَحَدَّثُ عن فكرة مقالة «الشِّرك ومظاهره»:

اعترف الشيخ مباركٌ بأنه لم يكن يَعلم بأن الأمر سيأخذ هذا المجرى من الطُّول والاستقصاء، وأعرب أنه دخل في هذا العمل، ولم يَدْرِ كيف يخرج منه!

يقول في كتابه الذي بعث به إلى محرِّر جريدة «البصائر»؛ (الشيخ الطيب العقبي): «كتبتُ إليكم أول مرة أني دخلت موضوعًا لا أدري متى وكيف يكون الخروج منه؟ ولم أزل على تلك الجهالة ولم يَدعُنِي إلى الكتابة فراغٌ في الوقت ونشاطٌ في القلم... وإنَّما تكلَّفتُ الكتابة في «البصائر» لئلاَّ أكون قدوةً سيِّئةً لمن يُقصِّر في خدمتها، فاخترتُ موضوعًا علميًّا كثيرًا ما نَطرُقُه في دروسنا، كي تسهل عليَّ الكتابة سهولة تتغلب على الموانع...»[2]، وقال: «وقد طال هذا المقال الذي ما زلت لا أدري متى ينتهي؟».

الإعلانُ عن صدور الرِّسالة:

وهكذا لم يمض زمانٌ حتى أُعلن عن قرب صدور (الرِّسالة) ونشرها، وأنها ماثلةٌ للطبع:

1_«رسالة الشِّرك ومظاهره»: «...واليوم نُبَشِّر المتشوِّقين لهذه الرِّسالة بأنَّ المؤلِّف قد أَتَمَّ تحريرها وسيُقدِّمها عمَّا قريب – إن شاء الله – للطبع، وهُنالِك نُعلِمهم بمبلغ الاشتراك فيها»[العدد (58): 29 ذو الحجة 1355هـ/12 مارس 1937م، (ص:6)].

2_**«رسالة الشِّرك ومظاهره، بقلم الأستاذ مبارك بن محمد الميلي...»**: «هذه الرِّسالة هي الكتاب الوحيد الذي يجدُ فيه المسلم ما يحتاج إليه في تصحيح عقيدته ومعرفة الحق في مسائل النزاع بين المصلحين والطُّرقيِّين وما يتَّصِل بها...» [العدد (59)، 6 محرم 1356هـ/19 مارس 1937م، (ص:2)][3].

3_الإعلان عن مبلغ الاشتراك وحضّ القُرَّاء عليه:

«إذا شئتَ جمعَ المسائل الدِّينيَّة التي خاضت فيها أقلامُ الكُتَّاب مع زيادة مسائل من نوعها. وإذا رغبتَ في تفصيل يفرق نواحي الوفاق والخلاف في تلك المسائل. وإذا تشوَّفتَ إلى حكم في موطن الخلاف معتمد على الكتاب والسُّنَّة وأقوال الأئمَّة. إذا تطلَّبتَ ذلك في تعبير واضح، بحروف واضحة وشكل جميل، في كتاب قد تزيد صفحاته على المائتين والخمسين، فاشترِك في رسالة «الشِّرك ومظاهره»...[وذكر مبلغ الاِشتراك]... فاشترِكوا فيها تَكتسِبوا قُوَّةَ حُجَّةٍ فيما أنتُم فيه مُحِقُّون، وينكشف لكم الصواب فيما أنتُم فيه مُتردِّدون، ويتضح لكم الرشاد فيما أنتُم فيه غالِطون. واشترِكوا فيها نُصرةً للحقِّ وخدمةً للدِّين وعونًا على نشر العربية وسَعيًا في ترقية الطباعة العربية...[ثم ذكر العنوان الذي يُوجهون إليه اشتراكاتهم]...»اهـ[العدد (61)، (ص:7)، وأعاده في الأعداد: (62 و63 و64 و65)].

4_التذكير بقرب نهاية أجل الاشتراك:

«عَلِمَ القُرَّاء منزلة هذه الرِّسالة ووَجْهَ الحاجةِ إليها والتخفيض في ثمنها إلى نهاية ماي.

فنُذكِّرُهُم بِقُرب انتهاء هذا الشهر وأنَّ ثمن الرِّسالة بعده يرتفع إلى خمسة عشر فرنكًا دون أُجرة البريد، وأنَّ غلاء المواد وكِبَر حجم الرِّسالة هُمَا اللَّذان اضطرَّانا إلى هذه الزِّيادة التي هي في الواقع وبالنسبة للغلاَء زيادةٌ قليلةٌ، فليغتنم فرصةَ التخفيض مَن أرادها قبل انتهاء أجلِها...»[العدد (67)، (ص:7)، وأعادها في العددين (68 و69)].

وَقال في موضع آخر، بعد أن ذكر «عناية المطبعة بجمال الطبع»، و«عناية المؤلِّف بجمال الوَضْع»: «والقارئُ يَجني ثمرة هاتين العنايتين غيرَ مَمْنُون عليه بمبلغ زهيدٍ رغم غلاء الورق وسائر المواد، رعايةً لِضِيق ذاتِ يدٍ كثيرٍ مِن قُرَّاء العربية في وطننا. وهذا المبلغ الزهيد هو مبلغ الاِشتراك....فعلى الراغبين في اقتناء الرِّسالة المبادرة

1) «البصائر», العدد (44), (ص:7).

2) «البصائر»، العدد (18),(14 المحرم 1355هـ/10 أفريل1936م, (ص:7)، (حول مقال –الشرك ومظاهره).

3) انظره كاملاً في العدد الثاني مِن هذه النَّشرة؛ نشرة «مصابيح العِلم».

بتوجيه الاشتراك قبل نهاية الأجل إلى المؤلِّف بهذا العنوان...»اهـ.

5_مُثُول «الرِّسالة» للطبع:

«**انتظروا رسالة «الشِّرك ومظاهره» للميلي**»: «قد انتهى أَمَدُ الاِشتراك بآخر شهر ماي، فقُدِّمت الرِّسالة للطبع حينئذ، وتأخَّر تَمثِيلها للطبع إلى انتهاء أجل الاِشتراك فيها **لِجَمْعِ ما يُمْكِنُ من المال حتَّى تَجِدَ المطبعة ما تَتحرَّكُ بِهِ، ولمعرفةِ ما يَرُوجُ مِن نُسَخِها تقريبًا، حتَّى لا نَتَوَرَّطَ في طَبْعِ عددٍ يَكْسَدُ جلُّهُ، ومِثْلُ هذا الاِحتياط لازمٌ لكلِّ مُؤَلِّفٍ لَم يُكْفَ مُؤْنَةَ النَّشْر**.

فلينتظر المشتركون رسالتهم المدَّةَ التي تبقى فيها تحت الطبع، ونُبشِّرهم أنَّ المطبعة جادَّةٌ في إبرازها في حُلَّةٍ جميلةٍ وفي أقرب ما يُمكِن، وكلُّ آتٍ قريب»اهـ[العدد (71)، (ص:7)].

6_صدور «الرِّسالة»:

«ظهر هذا الكتابُ في نحو ثلاثمائة وخمسين صفحة حاويًا لِكُلِّ ما يهمُّ المصلح الديني من المسائل والبحوث بحُجَجِها المشروعة ووُجُوهِها المعقولة، وقد أقرَّتْهُ **«جمعية العلماء» وحثَّت في اجتماعها العام باسم رئيسها ونائبه وكاتبها العام على اقتنائه واعتماده سلاحًا علميًّا في ميدان الجدال ومَنبعًا صافيًا في مقام التعليم**، وكتب عنه مدير «البصائر» الأستاذ العقبي في العدد (83)[1]. وقد وُزِّع على المشتركين، ووُضِع للبيع في مكاتب الجزائر الشهيرة...»اهـ[العدد (84)، (ص:4)].

وهذا إعلانٌ آخرُ: ««**رسالة الشرك ومظاهره**» للأستاذ الميلي. **كتابٌ** يقع في نحو خمسين وثلاثمائة صفحة، **جامعٌ لمسائل النزاع بين الإصلاح الديني وخصومه، موضِّحٌ لها بعبارة جلية، فاصلٌ فيها بحجَّةٍ قويَّةٍ** ثمنه عشرون فرنكًا غير أجرة البريد، تجده في إدارة «البصائر» بقسنطينة وفي مكتبة السيد رُودُوسي قدور بالجزائر وعند المؤلِّف بميلة»[«البصائر»، العدد (141)، (ص:8)].

مَتَاعِبُ تحمَّلهَا الشيخُ في سبيلِ نَشْرِ «الرسالة»:

لا شكَّ أنه قد ظهر للقارئِ أنَّ «الشيخ مبارك» عانى في سبيل نشر «الرسالة»، وتحمَّل من عبئِ جمع اشتراكاتِها، وتقديمِها للطباعة، ثم توزيعِها، ما اللهُ به عليمٌ، ممَّا نلتمِسُهُ من خلال أسطُر تلكم الإعلانات، ثمَّ ها هو الشيخ مباركٌ يُصارِحُ بعضَ أصدقائه من المشرق، بالذي لمَّحَت إليه تلكم الأسطُر ولم تبُحْ بِهِ:

في كتابِ الشيخ مبارك إلى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري[2] – وقد بعثَ به إليه من ميلة بتاريخ: [20 ذو القعدة سنة 1356هـ/الموافق 22 يناير سنة 1938م]؛ فيهِ **بَوْحٌ** ببعض ما لَقِيَهُ الشيخُ من متاعب وتحمَّلَهُ من عناء حتَّى ترى الرسالة سبيلَهَا إلى النَّشر، قال:

«...**وإذا كنت قد تعبتُ في تحريرها وتحمَّلْتُ الدُّيُونَ في طبعها ولم تُقَابَل في الوسط الجزائري بما يخفِّفُ عنِّي تلك الأتعاب، فإنَّ تَأييدَ أمثالِكُم مِمَّا يُخفِّفُ عنِّي أتعابًا قد يتصوَّرُهَا اللَّبِيبُ في التحرير، ولكنها والله في النَّشْرِ أشدّ وَقْعًا عَلَيَّ**...»اهـ.[«المنهل»،(ص:1538)، السنة(43)، المجلد(38)، الجزء(12): ذو الحجة 1397هـ/ديسمبر 1977م]

فيا لله!...وَواللهِ ما نقدِرُ أن نجازيَ هؤلاء على جهادهم وما قدَّموهُ للدَّعوة الإصلاحيَّة، وما لنا إلاَّ الدعاءُ لهم بالرحمات والقبول عند ربِّ البريَّات، ثمَّ المُضيُّ قُدُمًا لإتمام مسيرتهم، والتَّذكير بآثارهم ومآثرهم.

ولقد وضعَ الشيخ الطاهر الجزائري ثم الدمشقيُّ أصبعه على الجُرْحِ! –كما يُقالُ – حين قالَ: «**لا ينبغي أن يُكلَّف المؤلِّفُ ما وراء تأليفه، إذْ يكفيه إنهاك قواه فيما جمعه**»[«الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي»لمحمد بن ناصر العجمي (ص:132-131)]، وقال: «**أَمَا يكفي فلانًا أن يُنْفِقَ من زمانه وقُوَّتِهِ لِتقوية الحَقِّ ومُقاومة الجمود حتَّى يحملَ همَّ النَّفقة لإظهاره؟ فأين الإنصاف؟**» [المرجع السابق، (ص:173)].

صدور «الرسالة» وتقاريظُ العلماء والأُدباء:

لقد تلا صدور «الرسالة» جملةٌ من التقاريظ من العلماء والأدباء نثرًا وشعرًا، مِنها تقريظُ العلاَّمة الطيّب العُقبي[العدد(83)، (ص:8)][3].

ومن تقريظ الشاعر أحمد بن سحنون قولُهُ في أول قصيدِهِ:

هـي لـيست «رسـالـة الـشِّـرك» وَالـلـ
ـــهِ ولـكـن رسـالــة الـتـوحـيـد

فـأنـا قـد قـرأتـهـا لـم أجـد فيـ
ـهـا لغير الـتـوحـيـد مـن ترديد

ليقول:

أنــتَ أرضـيــتَ يـا مــبـارك شعبًا
بـالــذي قـد بـذلــتَـهُ مـن جـهـود

أنــتَ أَبــصــرتَ فـي الـعـقـائـد داءً
فـتـكـفَّـلـتَ بـالـعـلاج الـمـفـيـد

سِــفْـرُكَ الـيـومَ بَـلْـسَـمٌ لِجراحــ
ــاتٍ بَـدَتْ فـي عقائد التوحيد

[«البصائر»، العدد (103)، (ص:7)]

1) انظره كاملاً في العدد الثاني مِن هذه النَّشرة؛ نشرة «مصابيح العِلم».

2) انظره كاملاً في العدد الثاني مِن هذه النَّشرة؛ نشرة «مصابيح العِلم».

3) انظره كاملاً في العدد الثاني مِن هذه النَّشرة؛ نشرة «مصابيح العِلم».

الاعتداءُ على مؤلِّف «رسالة الشرك»:

«...لمَّا كادت تَبرُزُ هاته الرِّسالة ويَبلغُ خبرُها إلى الأوساط الطُّرُقيَّة وأبناء المرابطين حتى أخذوا يبحثون عنها، عسى أن يعثروا على ما فيه من مؤاخذة ومسؤولية. وقد بلغنا أن أبناء (الحسين القَشِّي)؛ وهو من الطوائف الطُّرُقيَّة الضَّالَّة، استاؤُوا من قَولةٍ لِجَدِّهِم مَنقولةٌ في هذه الرِّسالة، مُعقبة ببيانِ حُكمِ اللهِ فِيهَا. وبلغ بهم الاِستياءُ والحَنَقُ إلى أن جاء ثلاثةٌ مِن صغارهم إلى مِيلَة يوم الثلاثاء 19 أكتوبر، فكلَّم كلُّ واحدٍ منهم رجلاً من أعيان مِيلَة مُعلِنًا غضبَهُ على مُؤلِّفِ الرِّسالة الأستاذ الجليل الشيخ مبارك الميلي وغَضبَ أُسرتِه كلِّها ومُوعِدًا ومُهدِّدًا بِالقَتل!... إلخ» [«البصائر»، العدد (84)، (ص:3)، (محاولة اعتداء على مؤلف رسالة «الشرك ومظاهره»)].

الفوارقُ بين «الرسالة» و«المقالة»:

ظهرت الرسالةُ إلى عالم المطبوعات، بعد أن أعاد الشيخُ صياغة مباحثها من جديد، وتحرير عباراتها على غير النسق الأول، فكان ثمَّتَ اختلافٌ يسير، وإضافاتٌ وزيادات، تُعْرَفُ بالمقارنة بين المباحث الأولى المشار إليها، وما آلت إليه بَعدُ في صُلب الرسالة.

وبمقارنةٍ يسيرةٍ بين ما في «الرسالة»، وما كتبه الشيخ أولاً(المقالة)، يتَّضِحُ للنَّاظر أنه -كما قال المؤلِّفُ-: قد أعاد تهذيبَها، مع إضافة التبويبات، حيثُ قال هو نفسُه في مقدمة «الرسالة»: «ثم رجعنا إلى ما كُتِبَ **بالتهذيب والتبويب، وتنقيح عبارات للتقريب، وتغيير في الترتيب، وأضفنا إليه بعض الفصول**، فجاءت في شكل غير ما ظهرت به مِن قَبلُ»[1].

ونُجْمِلُ ذلك في الآتي:

1_تنقيح بعض العبارات، واستبدال عبارات أخرى بها.

2_حذف بعض الجمل والكلمات، كان الشيخ قد استطرد بها، فحذفها استغناءً عنها.

3_إضافات وزيادات، زادت المباحث إثراءً؛ تمثَّلَتْ في:

أ- إيراد أحاديث وآثار، لم تكن لتسمح بها أعمدة الجريدة في تلكم المقالة، تُعطي قوَّةً للمسألة المستدَلِّ لها، ولعلَّ بعضها لم يقف عليه إلاَّ بعد الكتابة الأولى.

ب- إثبات نقولات عن أهل العلم تزيد الموضوع بيانًا وشرحًا، وقد تعرَّضَ الشيخُ من خلالها لمسائل أخرى تفرَّعَتْ عن المسألة الأم، فتناولها بالتحليل، وإبداء وجهة نظر التحقيق فيها.

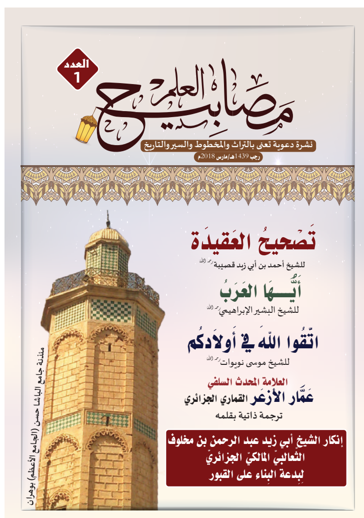
4_استدراك وإكمال ما قد يكون نقصًا.

ومن الدواعي لهذا التنقيح والصياغة الجديدة- زيادةً على أنه عاد على الموضوع بالبحث والمراجعة، على أنه هذه المرة سيكون في رسالة مستقلة، لا على أعمدة الجريدة:-

- أنَّ الشيخ اتَّصَل بكتبٍ أخرى لم تكن عنده من قبل، تناولت موضوعَ مباحثِهِ، فأفاد منها وكانت مادَّة (الإضافات والزيادات) التي أشرنا إليها قبل سطور، إذ ذكر: أنَّهُ لما أتمَّ التأليف وقبل الشروع في الطبع اتصل بهدية، تمثَّلَتْ في: كتاب «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد»، يقول: «**فعلَّقْتُ منه فوائد ألحقتها بمواضعها معزوَّةً إليه**»[2].







1) [ص:15-14].

2) [ص:15].

فِرْيَةُ الوَهَّابِيَّة (3)

نشر الأستاذ محمَّد السَّعيد الزَّاهري رحمه الله في مجلَّة «الفتح» القاهريَّة سنة (1929م)[السنة 4، العدد(168)، 7 جمادى الأولى 1348هـ/ 10 أكتوبر 1929م، (ص: 7-6)] مقالاً بعنوان «بيان حديث... »، في ردِّ انتقاداتٍ توجَّه بها إلى إحدى مقالاته السَّابقة كاتبٌ مغربيٌّ، وممَّا جاء فيه قوله:

«...أنا لا أُوافقه على أنَّ إخواننا المؤمنين السَّلفيِّين في نَجْدٍ والحجاز قد غَلَوْا في الإصلاح الإسلاميِّ، ولا أَصِفُهُم بالغُلُوِّ؛ لأنَّ الغُلُوَّ في الشَّيء هو الخروجُ عنه أو عن حدوده المشروعة، وإخوتُنا في نَجْدٍ والحجاز إنَّما يَدعون إلى ما دعا اللهُ إليه لا يَغْلُون في ذلك ولا يَخرجُون في إصلاحهم عن الحدود المشروعة»اهـ.

وكتب تحت عنوان: «**الوهَّابيُّون سُنِّيُّون حنابلة: إيضاحٌ وتعليق**»[«الصراط»، العدد (5)، 26جمادى الثانية 1352هـ- 16 أكتوبر1933م، (ص:6-4)]:

«نشرنا في العدد الثَّالث من هذه الصَّحيفة فصلًا قيِّمًا بالعنوان أعلاه لصاحب السَّعادة الأستاذ الفقيه سيدي محمد الحَجْوِي وزير المعارف بالمغرب الأقصى، وقلنا إنَّ لنا كلمةً نُعلِّق بها على بعض النِّقط من كلام الوزير نرجئها إلى عددٍ قابل.

ووفاءً بهذا الوعد الَّذي قطعناه للقُرَّاء نقول:

في كلام الوزير **من الحقائق الثَّابتة ما لا يخفى على أيِّ مُنصفٍ لم يُعْمِهِ الغرضُ والهَوَى**، فهو يُقرِّر كما هو الواقع «أنَّ الإمام أبا عبد الله محمَّد بن عبد الوهَّاب الزَّعيم الأكبر قد برع في علوم الدِّين واللِّسان وفاق الأقران، واشتهر بالتَّقوى وصِدق التَّديُّن، عقيدته السُّنَّة الخالصة على مذهب السَّلف المتمسِّكين بمحض القرآن والسُّنَّة، لا يخوض التَّأويل والفلسفة، ولا يدخلهما في عقيدته، وفي الفروع مذهبه حنبليٌّ غير جامد... ». ويُقرِّر أيضًا-كما هو الواقع- أنَّ مبادئ الوهَّابيَّة «التَّمسُّك بالسُّنَّة وإلزام النَّاس بصلاة الجماعة وترك الخمر وإقامة الحَدِّ على متعاطيها ومنعها منعًا كلِّيًّا من مملكتهم بل منع شرب الدُّخان ونحوه ممَّا هو من المشبهات...وغير ذلك من التَّشديدات الّتي لا يراها المتساهلون المترخِّصون(!!!)، وكلُّ هذا لا يخالف السُّنَّة...»

ولكنَّه مع إثباته لهذه الحقائق قال: «...وأعظم خلافٍ بينهم وبين أهل السُّنَّة هو مسألة التَّوسُّل، وتكفيرهم من يتوسَّل بالمخلوق....» **وهذا وَهْمٌ وَهِمَهُ سعادةُ الوزير**، فإنَّه لا يُوجد في نفس الأمر أدنى خلاف بين الوهَّابيِّين وبين أهل السُّنَّة إلَّا ما هو موجودٌ بين أهل السُّنَّة أنفسِهِم؛ **فالوهَّابيُّون حنابلةٌ سُنِّيُّون بأتمِّ معنى الكلمة**، وحَسْبُكَ أنَّه ليس لهم كتبٌ مذهبيَّة للمذهب الوهَّابيِّ مثلًا: بل كتبُهم هي كتب الحنابلة نفسها، وهم حينما نظَّموا القضاء الإسلاميَّ في الحجاز لم يجعلوا في محاكمه الشَّرعيَّة قضاةً وهَّابيِّين، ولكنَّهم نصبوا فيها قضاة حنابلة وشوافع وحنفيَّة ومالكيَّة، وإذا كان هنالك خلاف فهو بين المتمسِّكين بالكتاب والسُّنَّة من أهل السُّنَّة وبين الجامدين منهم والمتساهلين المترخِّصين الَّذين يتبعون أهواءهم.

وهنا مسألةٌ جوهريَّة لا بأس بالإشارة إليها، وهي أنَّ كتب الحنابلة الَّتي يقرؤها الوهَّابيَّة وغيرُهم هي كتب سُنَّةٍ وحديث أكثر ممَّا هي كتب فقهيَّة حنبليَّة.

وهم لا يَزالون يُؤلِّفونها على طريقة السَّلف الصَّالح وأئمَّة هذا الدِّين الحنيف.

بخلاف كتبنا نحن المالكية الَّتي يُؤلِّفها فقهاؤنا المتأخِّرون في المذهب المالكي مثلًا، فهي خالية من السُّنَّة والحديث، حتَّى أنَّك لتَقرأُ كتابًا ذا أجزاء من كتب المتأخرين من أوَّله إلى آخره فلا تكاد تعثُرُ فيه على حديثٍ شريف ولا على أثر من آثار الصحابة ڤ. وبعبارةٍ أخرى أنَّ كُتب الحنابلة المتأخِّرين لا تزال كتب سُنَّةٍ وحديثٍ ككُتُب المتقدِّمين، أمَّا كتب المتأخِّرين من المالكيَّة والحنفيَّة مثلًا فقد خَلَت كلُّها أو جُلُّها من السُّنَّة والحديث، بل يسوق لك مؤلِّفوها الأحكام مجرَّدةً عن كلِّ نظرٍ واستدلال.

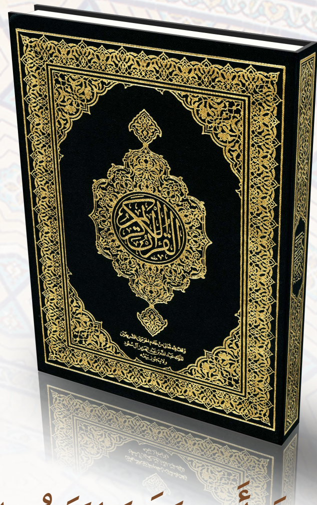
ولا يخفى أنَّ كتب السُّنَّة والحديث تَجعل قارئها سُنِّيًّا سَلَفيًّا شديد الاتِّصال بالرَّسول ﷺ وشديد الاتِّصال بالسَّلَف الصَّالح وبعيدًا كلَّ البعد عن التَّقليد والجمود وبعيدًا عن البدع ومحدثات الأمور، ومن هنا جاء الخلاف بين الوهّابيّة من أهل السّنّة الآخرين إن كان هنالك خلاف...

والوهَّابيُّون أو حنابلةُ نَجْدٍ لا يقولون بِكُفرِ مَن يَتوسَّلُ التَّوسُّلَ الشَّرعيَّ، بل يقولون بِكُفْرِ مَن يَدعُو مع الله إلهًا آخر، ومن معاني«التَّوسُّل» عند الجامدين(من أهل السُّنَّة) أنَّهم يدعون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرُّهم! وأحسب أنَّ من يُطالع كتاب «التَّوسُّل والوسيلة»لشيخ الإسلام بن تيميَّة يَرَى صِدق ما نقول. **وهذه العقيدة ليست عقيدةَ حنابلةِ نَجْدٍ وحدهم بل هي عقيدةُ السَّلف الصَّالح وعقيدةُ أهل السُّنَّة جميعًا(ما عدا الجامدين منهم والمتساهلين)**.

بقي شيءٌ واحدٌ وهو قول الوزير: «إنَّ مُؤسِّس هذا المذهب هو شيخُ الإسلام بن تيميَّة، واشتهر بِهِ بنُ عبد الوهَّاب».

والواقع أن مُؤسِّس هذا المذهب ليس هو ابن تيميَّة ولا ابن عبد الوهَّاب ولا الإمام أحمد ولا غيرهم من الأيمة والعلماء، وإنَّما مُؤسِّسه هو خاتم النَّبيِّين سيِّدنا محمَّد بن عبد الله ﷺ، على أنَّه في الحقيقة ليس مذهبًا، بل دعوة إلى الرُّجوع إلى السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة وإلى التَّمسُّك بالقرآن الكريم، وليس هنا شيءٌ آخر غير هذا.

وهران السَّعيد الزَّاهري»



يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ

بقلم: «الشَّيخ محمد الهَبْرِي المَجَّاوِي- الزَّارِع لِبَذْرَةِ الإِصلاح الأُولَى بِالرَّمْشِي»[1]

«بنو وَارْسُوسْ»: دَوَّارْ في جبال تْرَارَة شمال حَوْز الرَّمْشِي المُمتزِج، يقع على بُعد 25 كيلومترًا إلى الشمال مِن تلمسان.

وصلَت حركةُ الإصلاح إلى هذا الدَّوَّارْ بواسطة دروس الشيخ الرئيس الإبراهيمي التي كان يُلقيها بتلمسان ونواحيها ودروس إخوانِه العلماء مِن بَعدِه، فاعتنق الفِكرة الإصلاحية بعضُ الشباب مِن الدَّوَّارْ المذكور ونَزَحُوا يطلبون العلم الذي هو أساس الفِكرة وقَوامُها، ووَرَدُوا مَناهِلَه بمعهد القرويِّين والزيتونة وغيرهما، وبِجُهُودهم انتشر الإصلاح في الدَّوَّارْ المذكور بِصُورةٍ تكاد تكون عامة.

وتَعرَّضُوا بسببِ فِكرتهم هذه إلى مضايقات ثم إلى مُحاكمات بِتُهمة جمع المال مِن غير رخصة تارةً، وبِتُهمة تعليمِ القرآن بغير إذنٍ تارةً أخرى.

وَفي الأشهر الأخيرة من العام المنصرم بَدَت حركةٌ غريبةٌ مِن الطُّرُقيَّة الدَّرْقَاوِيَّة بِالدَّوَّارْ المذكور.

وذلك أن (خُونِيًّا) مِن إخوانهم- وَمِن أُسرةِ كاتبِ هذه الكلمة «المَجَّاوِي» القائِم بالحركة الإصلاحية بِالرَّمْشِي-: ذهب إلى الحَجِّ، ولمَّا رجع مِن حَجِّهِ احتفل به إخوانُهُ الدَّرْقَاوِيُّونَ وأقاربُهُ بِمنزله بالدَّوَّارْ ومِن جُملة المحتفلين الرَّاوِي إليكُم القصة. فكانت مُناسَبةً طيِّبَةً أَلْقَيْتُ فِيهَا درسَين كان لهما الأَثَرُ الحسَن في نفوس المؤمنين.

وكان المحتفَلُ به قبل الشُّرُوع في الدرس التمس مِن إخوانِهِ أَن لَا يُطَبِّلُوا وَلا يَرقُصُوا إجلالًا لِكلامِ اللهِ الَّذِي كان يُرَتِّلُهُ حَفَظَتُهُ، واحتِرَامًا لدُروسِ الوعظ الَّتِي قَلَّمَا تُوجَدُ لديهم.

ورغم هذا كُلِّهِ فقد قَامُوا بأعمالهم وَطَبَّلُوا ورَقَصُوا في ساعةٍ مُتأَخِّرَةٍ مِن الليل. فَقَرَعَت أَعمالُهُم تِلكَ الصِّبْيَانَ النِّيَام وَأَجْفَلَت البهائم. فحِينئذٍ كَلَّمَهُم أَخُو المُحتفَل بِهِ السَّيِّد محمد المَجَّاوِي فِي مُخالفةِ رَبِّ المَنزل. فغضِبُوا مِن كلامِهِ ورَفَعُوا شِكايَةً ضِدَّهُ وضِدَّ أَخِينا سي بلحاج -ذلِكَ الشَّيخ الوَقُور- بِتُهمَةِ التَّعرُّضِ لِلدِّين مِن جمعيَّة العُلماء المسلمين الجزائريِّين المُمَثَّلَة في أُسْرَةِ مَجَّاوِي في الدَّوَّار هذا، وَطَلَبُوا لهُما عُقوبةَ السِّجن وتعويضًا على انتِهاك «الحُرْمَة»! قَدْرُهُ مِائة ألفِ فرنك.

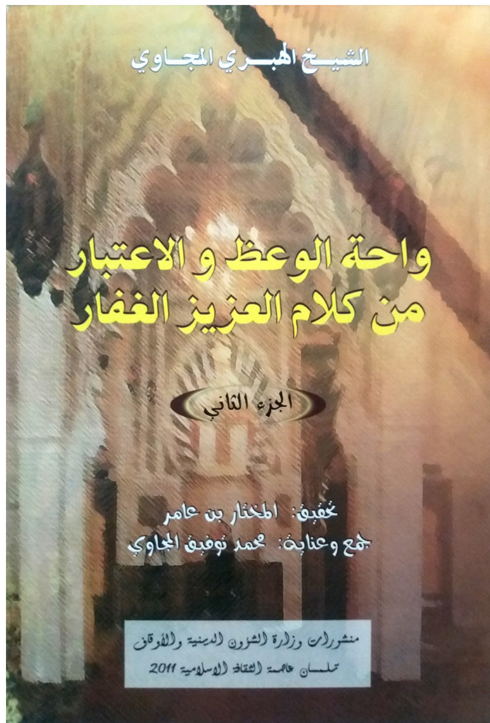
وحِينئِذٍ اقتضَى نَظَرُ الحُكومَةِ المَحَلِّيَّة أَن تُقَدِّمَ المُتَّهَمِين لِلمُحاكمة أمام مجلس التأديب بصلحية الرَّمْشِي المُنعقِد يوم 4 جانفي سنة 1955، وَتولَّى الدِّفَاع عن المُتَّهَمِين الأستاذ الحصار، فأَضْحَكَ الحاضِرين مِن شَأنِ هذه الدَّعْوَى: قَومٌ يُكرِمُون بِكُلِّ أنواع الإِكرَام، ثُمَّ يَعمَدُونَ إلى رَفْعِ دَعوَى ضِدَّ مُكْرِمِيهِم، إِنَّهُم لَلِئَامٌ، فَأَذْكَرَنِي هذا قولَ المُتَنَبِّي:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَبَعدَ المُرافعَة أُخِّرَ الحُكْمُ في القَضِيَّة لِلمَشُورَة.

وَنحنُ بِدَوْرِنَا نُعْلِنُ لِهؤلاء: أَنَّنَا لَا نُحَاكِمُهُم إِلَّا إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، فَإِن أَتَوْنَا بِحُجَّةٍ-مِن كِتَابِ اللهِ أَو سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ- عَلَى طَبْلِهِم وَرَقْصِهِم هَذَا، قُلْنَا: سَمْعًا وَطَاعَةً. وَحِينَئِذٍ يَلزَمُ كُلَّ المُسْلِمِينَ أَن يُطَبِّلُوا وَيَرْقُصُوا، مَا دَامَ دِينُ الإِسلام وَاحِدًا وَنَبِيُّهُ ﷺ وَاحِدًا وَكِتَابُهُ وَاحِدًا، فَإِن لَم يَفْعَلُوا وَلَنْ يَفْعلُوا، فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُم مَحْجُوجُونَ تَجِبُ عَلَيهِم التَّوْبَةُ وَالإِنَابَةُ إِلَى الحَقِّ، وَإِلَّا فَإِنَّهُم خَارِجُونَ مُتَّبِعُون لِهَوَى أَنْفُسِهِمْ، مُشَاقُّونَ للهِ وَالرَّسُول.

محمد الهَبْرِي المَجَّاوِي



1) «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد 235، 22 شوال 1372هـ-3جوليت1953م،(ص: 7).



آثارٌ سَلَفِيَّةٌ
في نَشْرِ العِلم

عن معاذ بن خالد بن شقيق قال: سمعتُ **ابنَ المُبَارَك** يَقولُ: «أَوَّلُ مَنْفَعَةِ العِلْمِ أَن يُفِيدَ بَعْضُكُم بَعْضًا»[«تاريخ دمشق» لابن عساكر، (442/32)].

ـ عن **الحسَن** -رحمه الله- قال: «مَا تَصَدَّقَ امْرُؤٌ مُسْلِمٌ أَفْضَلَ مِن نَشْرِ العِلْمِ»[«كتاب الأمالي» لابن منده، (رقم 372)].

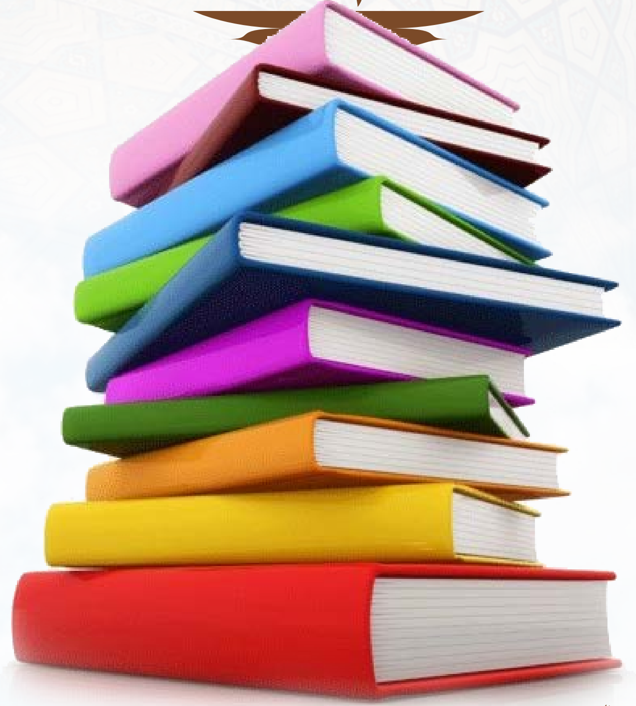
- قال **مالكٌ** -رحمه الله- لابن القاسِم: «اتَّقِ اللهَ وَعَلَيْكَ بِنَشْرِ هَذَا العِلْمِ»[«ترتيب المدارك» للقاضي عياض، (246/3)، ط. وزارة الأوقاف. المغرب].

- وكانَ **مالكٌ** يَقولُ: «لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ عِندَهُ عِلمٌ أَن يَتْرُكَ التَّعْلِيمَ»[«ترتيب المدارك» (26/2)].

- عَن جَعْفَر بن برقان، قَالَ: كَتَبَ **عُمَر بنُ عَبدِ العَزِيز**: «مُرْ أهلَ الفقهِ والعِلمِ؛ فَلْيَنْشُرُوا مَا علَّمَهُمُ اللَّهُ فِي مجالسهم، ولْيَتَحَدَّثوا به فِي مجالسهم، والسَّلامُ عليك»، وفي رواية: «كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَر بنُ عَبدِ العَزِيز: أَمَّا بَعْدُ! فمُرْ أهلَ الفقهِ وَالعِلْم مِن جُنْدِكَ؛ فَلْيَنْشُرُوا مَا علَّمهم اللَّهُ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، وَالسَّلامُ»[«تاريخ ابن أبي خيثمة»، السِّفر الثالث، (رقم 4568 وَ4570)].



تراجم وسير



الشّيخ محمد الهَبْرِي المَجّاوِي

الزَّارِع لِبَذْرَةِ الإِصلاح الأُولَى بِالرَّمْشِي

نُورِد ترجمة الشيخ كما جاء ذلك مُسَطَّرًا في شهادة إثبات المستوى التي مُنِحت لهُ من طرف «لجنة التعليم العليا» التابعة لِـ«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» (ربيع الأول 1388هـ = يونيو/جوان 1968م)[1]، في إطار ما عُرف بعد الاستقلال بحركة إدماج المعلمين الأحرار في الأسلاك الوظيفية:

«إنَّ لجنة التعليم العليا لتابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كانت تُشرف على جميع المدارس العربية الحرة التابعة لها بالجزائر وببعض المدن الفرنسية؛ تَشهدُ بأَنَّ الأستاذ الشيخ الهبري المجاوي المولود ببني وَرسُوس [بمنطقة فِيهَا تُدعَى: الحويسي] حَوْز الرَّمْشِي من عَمالَة تلمسان حوالي سنة 1906 [ولد يوم الأربعاء 6 ذي الحجة 1323هـ، موافق 1906/01/31م]- بعد أن أَتمَّ قراءة القرآن العظيم [أتمه في سن التاسعة من عمره] على مُقرِئين أَكْفَاء منهم والدُهُ [والده هو: سيدي محمد بن عمر ابن محمد بلحاج، من أهل الصلاح، وله زاوية يقرئُ فيها القرآن للطلبَة] وأَخُوهُ[أخوه الأكبر سي بلحاج، فَتحَ مدرسة قرآنية قريبًا من الحويسِي، توفي قبل الاستقلال بسنتين] شرع يتلقى مبادئ العلوم وذلك حوالي سنة 1921 على الشيخ مصطفى ابن رابح، ودام على ذلك مدة أربع سنوات كاملة 21-22-23-1924، ثم انتقل من بلده إلى معهد الحاج الجيلالي بالعطاف من عمالة الأصنام؛ حيث انخرط في سلك تلاميذه منذ سنة 1924، وتابع فيه الدراسة لمدة أربع سنوات أخرى متتالية وهي 24-25-26-27-1928، ولما أتمَّ دراسته به انتقل إلى المغرب الأقصى، وانخرط في سلك طلبة «جامعة القَرَوِيِّين» بِفَاس، وذلك أثناء السنوات الدراسية 1929-30-1931، وكان من جملة أساتذته الذين سمع منهم وانتفع بهم: العلماء الأعلام: الشيخ عباس البناني، والشيخ القرشي، والشيخ أبو الشتاء الصنهاجي، والشيخ عبد السلام العلوي، والشيخ محمد بن الحاج الشهير بابن المحشي، ولما أَتَمَّ دراستَه الثانوية هناك وسمع كثيرًا مِن الدروس العالية رجع إلى الوطن، وانتصب للتدريس والإفادة بقرية «عين الحُوت» القريبة من تلمسان، فلما انتصب الأستاذ العلامة الجليل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمدينة تلمسان، اتَّصلَ بِه، وأخذ يتردَّدُ على دروسه؛ فسمع منه دروسًا عاليةً في التفسير والحديث وغيرهما، مع قيامه بواجب التعليم بِـ«عين الحُوت»، وبأعمال جمعية العلماء العِلميَّة والدَّعَائِيَّة والإِداريَّة، وكان على اتِّصالٍ وثيقٍ مستمرٍ بالإبراهيمي منذ حلوله بتلمسان حتى سنة 1938؛ وهي السنة التي أغلقت فيها سلط الاستعمار مدرسة «عين الحُوت»، فانتقل إلى قرية «الرَّمْشِي»، وبقي يقوم بواجب العلم، فكان أن أَسَّسَ مدرسة «الرَّمْشِي» وعلَّم بها وأشرف عليها، مع مسؤوليته عن الحركة بكُلِّ تلك الدائرة، ثم انتخب كعضوٍ إداريٍّ بالمجلس الإداري لجمعية العلماء، وهو أعلى مجلس بها، وبقي قائمًا بواجبه بجانبِ إخوانه، حتى اعتُقِل من طرف السُّلَط الاستعمارية أثناء الثورة المسلحة وبتهمة المشاركة فيها في نفامبر 1955.

وحيث إنَّ الشيخ الهبري المجاوي قد قضى في طلب العلم أثناء المرحلتين الابتدائية والثانوية ما يزيد عن عشر سنوات متوالية.

- وحيثُ إنَّهُ دخل «جامعة القَرَوِيِّين» واستمع فيها إلى علماء وأكفاء وأكمل بها دراسته الثانوية وسمع دروس المرحلة العالية.

-وحيثُ إنَّهُ لازم العلامة الإبراهيمي مدةً تزيد على ست سنوات واستمع إلى دروسٍ عاليةٍ منه، كما لازمه في العمل وانتفع به.

- وحيثُ إنَّهُ قضى في التعليم بمدارس الجمعية مدةً لا تقلُّ عن ثلاثٍ وعشرين سنة.

1) مع إضافات مِن التَّرجمة التي بِمُقدِّمة كتابِهِ: «وَاحة الوعظ والاِعتبار مِن كلام العزيز الغفَّار»، جمع وتحقيق: ولده محمد توفيق المجاوي وَالمختار بن عامر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان 2011م.

فإنَّ «لجنة التعليم» بِناءً على كُلِّ ما سبَقَ ترى أَنَّ الشَّيخ الهبري المجاوي في مُستوى درجة الأُستاذية التي مُنِحَت لكثيرين مِن أمثاله وإنَّهُ لَيَنالُ هذه الدرجةَ -درجة الأستاذية- عن جدارةٍ واستحقاق؛ لأَنَّ تَحصيلَهُ فوقَ مُستوى شهادة التَّحصيل التي نَالَ بسببها هذه الدرجة مع عِلمِهِ ونشاطِهِ وإخلاصِه. كتب له هذه الشهادة بناءً على طلبِهِ لِلانتفاعِ بها لدى الدوائر المختصة».

أَعمالُهُ النِّضاليَّة قبل وأثناء ثورة التحرير المظفَّرة:

يقول رحمه الله في مذكراته: «وقد خالطتُ السياسة حوالي سنة 1934 حينما كُنتُ مُقِيمًا بِـ«عين الحُوت» من ضواحي تلمسان كواعظٍ ومُرشِدٍ حُرٍّ، وذلك بواسطة مخالطة بعض الشُّبَّان المثقفين باللسانين العربي والفرنسي، وَبِمُطالعة بعض الكتب العصرية؛ كـ«حياة الشرق» ثم جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتَكوَّنَت في نفسي مِن جَرَّاءِ المظالم التي كانت تُمَثَّلُ في الشعبِ على مَسرح الحياة الجزائرية آنذاك عقيدةٌ وطنيةٌ، فَكُنتُ أُدافع عنها وأَنشرُ الدِّعايَةَ مِن أَجلها، عن إيمانٍ صادقٍ بأَنَّ ذلك حقٌّ عَلَيَّ وواجبٌ مُقدَّسٌ، حتى مَثُلْتُ للمرةِ الأولى أمام (الكُومِيسَارْ) المركزي بتلمسان سنة 1936، واستَنْطَقَنِي نحو الساعة والنصف، وطلبَ مِنِّي رُخصة التعليم، ودَافعتُ بأَنِّي أُعَلِّمُ مبادئَ الدِّينِ لِلكِبَار، ولا لُزُومَ لِلإِذنِ ما دام تعليمِي إِيَّاهُمْ دِينيًّا مَحْضًا.

ومِن ذلك العهد وأنا في أَخْذٍ ورَدٍّ ونضالٍ مع الحكومة الاستعمارية، وأَخيرًا مَنَعُوني مِن التَّعليم الحُرِّ إِلاَّ بِرُخصةٍ، فأَبَيتُ أَن أطلُبَ الرُّخصة، واضطررتُ أَن أفتح حانوتًا للتَّعيُّش الحُرِّ الكريم، ففتحتُ حانوتًا بِـ«الرَّمْشِي» في أكتوبر سنة 1937 ولكِن كيف العمل والعقيدة رسخت واستحكمت، فطفِقْتُ أَبُثُّ الدِّعايَات بِاسمِ الدِّينِ الحَقِّ الذي لا يَنفَكُّ والوطنية الحَقَّة، فتَحَزَّبَت الطُّرُقيَّةُ الرَّجْعِيَّةُ ضِدِّي، واستعانت واستعان بها الاستعمار، فذُقتُ الأَمَرَّيْنِ مِن جَرَّائِهِم، وفتش منزلي وحانوتي مِرارًا بواسطة البوليس السِّرِّي والجُنْدَرْمَة، وحينئذٍ انخرطتُ في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قَصْدَ الاِستعانة بهم والاِحتماء، فزادهم ذلك تَأَلُّبًا وزادَ فِيَّ تَشجيعًا، ففتحتُ مدرسةً بِالرَّمْشِي للتعليم العربي الإسلامي، ولقيت نجاحًا باهرًا بالنِّسبة لِلرَّمْشِي وَكْرِ الرَّجْعِيَّة والاِستعمار، وكان حانُوتِي مركزًا للاِتِّصالات الدِّينيَّة والسِّياسيَّة، فعلمَت السُّلطة الاستعمارية فأغلقتهُ إداريًّا مدةَ سنة.

هذه سيرتي قبل الثورة باختصار.

وفي سنة 1954 أَلَّبَت السُّلطة الاِستعمارية الرَّجعيةُ الطُّرُقِيَّةَ ضِدِّي، وأَوْحَتْ إليهم بكتابةِ تقريراتٍ في شأني، فبادروا وكتبوا، وكانت كلُّ حركاتهم تَبلغني بواسطة الشباب المثقف المستخدَم في المكاتب الحكومية، فأخذَت ذلك سببًا، وَاعتقلَتْنِي بِصِفَتِي خَطِيرًا على سلامةِ الدَّولَة، وحَشَرَتْنِي مع الإخوان المكافِحِين في «مُعتقل بُوسْوِي» ثم «مُعتقل آفْلُو» ثم «مُعتقل آرْكُولْ» ثم «بُوسْوِي» ثانيًا، ومِنهُ أُطلِقَ سراحي في فاتح يناير 1957. فمكثتُ بداري تحتَ المراقبة الدقيقة، إلى أن أَلقَت عَلَيَّ السُّلطة العسكرية القبض على الساعة الحادية عشر من ليلة 11 جوان 1957، وزَجَّت بي في زنزانة، ثمَّ قدَّمتني للاستنطاق مدة 9 أيام، ثم ذهبَت بي إلى مركز عسكري في جبال «تْرَارَة» بِـ«بَنِي وَارْسُوسْ»، فمكثتُ هناك في الأعمال الشَّاقَّة والمُهِينَة مدة 5 أشهر وزيادة، كنتُ أثناءها أُقَوِّي مَعنويات المعتقلين معِي. وبعد أن أُطلِق سراحي [مكثتُ] تحت المراقبة، على أن لا أَتحرَّكَ إلا بإِذن، فكانت أيامي في السِّجن أطيَب مِن الأيامِ التي قضيتُها طليقًا بين أهلي وعشيرتي، لأَنَّ ضميري كان يُحَتِّمُ عليَّ العمل مِن أَجلِ الثورة في دائرةِ اختصاصي، وهي الدِّعايَة والاِستعلامات، ورَفع مَعنويات الشعب، والفَصْل في القضايا بين المتخاصِمِين، وتَحَسُّس الأَخبار عن أعمال العَدُو، في حينِ الأَفكار تسمَّمت، واستعمرت بالرغبة في المال والجاه والرَّهبة مِن التَّنكيل والتَّعذيب، والاِستِدعاءَات والاِستنطاقات تتوالى عليَّ على أبسط الأمور وأَتْفَهِهَا، حتى على عدمِ حضوري في الوَعْدَات والجنَازَات، حتى لم أَتمَكَّن مِن دفع اشتراكي في مَحَلِّي واضطررتُ لِدَفْعِهِ في «بَنِي وَارْسُوس» بِاسمٍ مُستعَار، مع استمراري على مسؤوليتي التي كُنتُ عليها، وأُلزِمْتُ بها مِن طرف الإخوان السي الغريب والسي عبد الباسط والسي رضوان والسي محمود وغيرهم (رحم الله من استشهد منهم وبارك عمر الأحياء منهم)؛ وهي القضاء بين المتخاصِمِين والاِستعلامات على الخائِنِين...

هذه حياتي قدَّمتُهَا لكم لَا مَنًّا على وطنِي العزيز ولَا لأَجْلِ الشُّكر، فلا شُكْرَ على واجبٍ مُحَتَّم، ولكِن بيانًا للحقيقةِ حِينَمَا يُحتَاجُ إليها، وَالسَّلام. الهبري المجاوي».

أَعمالُه بعد الاستقلال:

– عُيِّنَ إمامًا خطيبًا بمسجد سيدي إبراهيم المصمودي بتلمسان من 1963/01/01 إلى 1967/12/26م، وفي تلك المدة كُلِّفَ بتدريس الفقه في الجامع الكبير بالمدينة نفسِها.

– ثم نقل للإمامة والخطاب بالجامع الكبير.

– عُيِّنَ مُفتشًا بوزارة الشؤون الدينية في تاريخ 1970/03/15م، ثم نقل إلى ولاية سعيدة في المنصب نفسِه إلى غاية 1974/09/25، حيث أُرجِعَ إلى تلمسان مفتشًا أيضًا، لِيَستقِيل بعد ذلك في السنةِ نفسِها.

– وكانت نهايةُ المطاف أَنْ كُلِّفَ بالتدريس والخطابة بالجامع الكبير بتلمسان.

وَفاتُهُ:

تُوفِّي رحمه الله يوم 11 فبراير 1988م.



أدب الوصايا

مِن وصايا الإمام مالك بن أنس

- **وَصِيَّتُهُ لِأَسَد بن الفُرَات:**

في ترجمة «أَسَد بن الفُرات» من كتاب «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (3/292)؛ قال أَسَدٌ: «فلمَّا وَدَّعْتُهُ حين خروجي إلى العراق، دخلتُ عليه وصاحبان لي -وهما حارث التيمي وغالب صِهر أَسَد- فقُلنا له: أَوْصِنَا. فقال لي: **أُوصِيكَ بِتقوَى اللهِ العظيم وَالقرآنِ وَمُناصحةِ هذه الأُمَّةِ خيرًا** (فراسةً من مالكٍ فيه؛ فوَلِيَ أَسَدٌ بعدَ هذا القضاء)، قال: وقال لِصاحبَيَّ: **أُوصِيكُمَا بِتقوَى اللهِ وَالقُرآنِ**».

- **وَصِيَّتُهُ لِخالِد بن خداش:**

روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (6/319) بإسناده إلى: خالد بن خداش قال: وَدَّعْتُ مالكَ بنَ أَنسٍ، فقُلتُ: أَوْصِنِي، يا أبا عبدالله! قال: «**تَقْوَى اللهِ وَطلبِ الحديثِ مِن عِندِ أَهْلِهِ**». وفي لفظٍ: «**عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ وَطلبِ العِلمِ عِندَ أَهْلِهِ**»[«ترتيب المدارك»(2/68)]. وفي لفظ: «**عليكَ بِتَقوى اللهِ في السِّرِّ والعلانية والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسلمٍ، وكتابةِ العِلمِ مِن عِندِ أَهلِهِ**»[«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (رقم 209 وَ291)].

- **وصيَّةٌ:**

قال مُطَرِّف: وكان مالكٌ إذا وَدَّعَهُ أَحَدٌ مِن طلبة العلم عنده، يقولُ لهم: «**اتَّقُوا اللهَ فِي هذا العِلم، ولَا تُنْزِلُوا بِهِ دَارَ مَضْيَعَةٍ**[1]، **وبُثُّوهُ ولَا تَكْتُمُوهُ**»[«ترتيب المدارك»(2/65)].

1) أي: دار ضَيَاع، وهُوَ الاِطِّراح وَالهَوَانُ. انظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (ضيع).

- **وصيَّةٌ:**

قال ابن وهبٍ: قال لمالكٍ رجلٌ أَوْصِني. فقال: «**أُوصِيكَ أَن تَعْمَلَ صالحًا وتَأْكُلَ طَيِّبًا**»[«ترتيب المدارك»(2/66)].

- **وصيَّةٌ:**

قال مُطَرِّف: قال رجلٌ لمالكٍ: أَوصِني. قال: «**إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ من طاعةِ اللهِ، فَلَا تَحْبِسْهُ إِن استطعتَ فُوَاقًا**[2] **حتى تُمْضِيَهُ، فإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ الأَحْدَاثَ، فإذا هَمَمْتَ بِغيرِ ذلكَ، فإِنِ استطعتَ أَن لَا تُمضِيَهُ فُوَاقًا فَافْعَل، لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ لَكَ تَرْكَهُ، ولَا تَستحِي إِذَا دُعِيتَ لِأَمْرٍ لَيسَ بِحَقٍّ أَن تَقولَ: قال اللهُ في كتابه:** ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[الأحزاب:53]، **وطَهِّرْ ثيابَكَ وأَنْقِهَا عَن معاصي اللهِ، وعَلَيكَ بِمَعَالي الأُمُور وكرائِمِها، واتَّقِ رَذَائِلَها ومَا يُسَفْسِفُ مِنْهَا، فإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأخلاقِ ويَكْرَهُ سَفاسِفَهَا، وأَكْثِرْ تِلاوةَ القرآن، واجتهِد أن لَا تَأتيَ عَلَيكَ ساعةٌ مِن ليلٍ أو نهارٍ إِلَّا ولِسانُكَ رَطْبٌ مِن ذِكرِ الله، ولَا تُمكن النَّاسَ مِن نفسِك، وَاذْهَبْ حَيثُ شِئْتَ**»[«ترتيب المدارك»(2/64-65)].

- **وَصِيَّتُهُ لِعَبْد الرحمن بن القَاسِم:**

قال ابن القاسم: كُنَّا إذا وَدَّعْنَا مالكًا يَقُولُ: **اتَّقُوا اللهَ، وَانشُرُوا هذا العِلمَ وَعَلِّمُوهُ ولَا تَكتُمُوهُ**[«ترتيب المدارك»(2/68) وَ«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (رقم 476)].

- **وَصِيَّتُهُ لِلحارِثِ بنِ أَسَدٍ القَفْصِي:**

قال الحارث بن أسد القفصي: دخلتُ على مالك بن أنس، أنا وابن القاسم وابن وهب، فأردنا وَدَاعَهُ، فقال ابن وهب: أَوْصِنَا يا أبا عبد الله، فقال له: «**اتَّقِ اللهَ وَانْظُرْ عَمَّنْ تَنْقُل**»، وقال لابن القاسم: «**اتَّقِ اللهَ وَانْشُرْ مَا سَمِعْتَ**»، فقُلتُ له: يا أبا عبد الله، وأنا فَأَوْصِنِي، فقال لي: «**اتَّقِ اللهَ وَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ**»[«رياض النفوس» لأبي بكر المالكي(1/291)].

- **وَصِيَّتُهُ لِعَبدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ:**

وقال لابن وهبٍ: «**اتَّقِ اللهَ، وَاقْتَصِرْ على عِلْمِكَ، فإِنَّهُ لم يَقْتَصِرْ أَحَدٌ على عِلمِهِ إِلَّا نَفَعَ وانْتَفَعْ، فإِن كُنْتَ تُرِيدُ بِمَا طَلَبْتَ مَا عِنْدَ اللهِ فَقَد أَصَبْتَ ما تَنْتَفِعُ بِهِ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِمَا تَعَلَّمْتَ الدُّنْيَا فَلَيْسَ فِي يَدِكَ شَيءٌ**»[«ترتيب المدارك»(2/68)].

- وقال لابن وهبٍ: «**أَدِّ مَا سَمِعْتَ وَحَسْبُكَ، وَلَا تَحْمِلْ لِأَحَدٍ عَلَى ظَهْرِكَ، فإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: أَخْسَرُ النَّاسِ مَن**

2) الفُوَاق: الوَقْتُ بين الحَلْبَتَين، وَالوَقْتُ بين قَبْضَتَي الحَالِبِ للضَّرْع. انظر: المعجم الوسيط.

بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ، وَأَخْسَرُ مِنْهُ: مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ»[«ترتيب المدارك»(61/2)]. وفي لفظ: «عن ابن وهبٍ قال: لمَّا وَدَّعْتُ مالِكًا قالَ: «لَا تَجْعَلْ ظَهْرَكَ جِسْرًا لِلنَّاسِ يُجِيزُونَ عَلَيْهِ إِلَى مَا يُحِبُّونَ، قال: أَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ» »[«أخبار الفقهاء والمحدثين» لمحمد بن حارث الخشني (ص245)].

- وَصِيَّتُهُ لِأَبِي مِسْهَرٍ الغَسَّانِي:

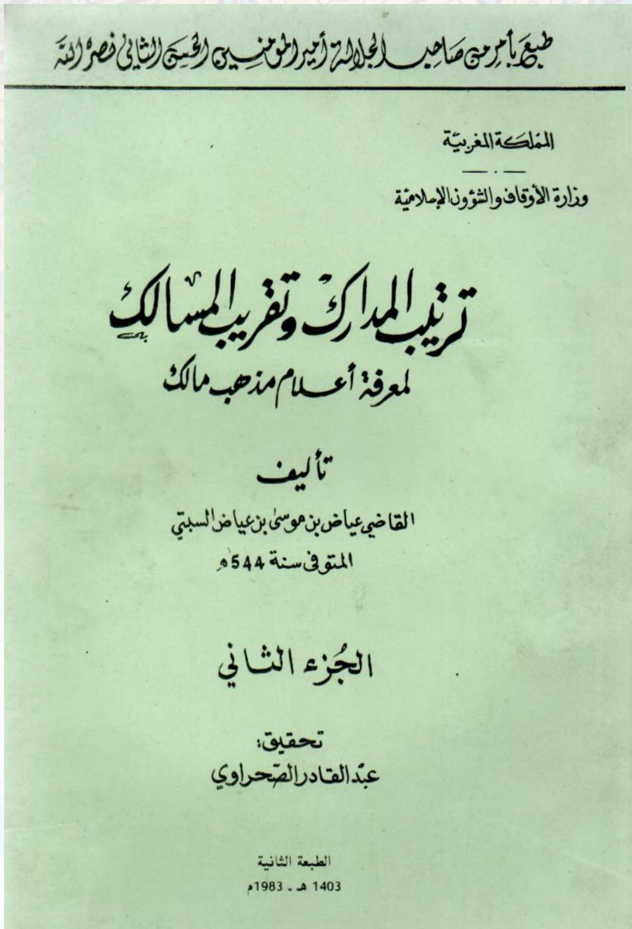
وقال لأبي مِسْهَر: «**لَا تَسْأَل عَمَّا لَا تُرِيدُ فَتَنْسَى مَا تُرِيد، فإِنَّهُ مَنِ اشْتَرَى مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَاعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ**»[«ترتيب المدارك»(61/2)].

- وصيَّةٌ: وقال لبَعضِ بَنِي أَخِيه: «**إِذَا تَعَلَّمْتُم عِلْمًا مِنْ طَاعَةِ اللهِ، فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُهُ، وَلْيُرَ فِيكَ سَمْتُهُ، وَتَعَلَّمْ لِذَلِكَ العِلْمِ الَّذِي عَلِمْتَهُ السَّكِينَةَ وَالحِلْمَ وَالوَقَارَ**»[«ترتيب المدارك»(63/2)].

- وصيَّةٌ:

وقال لِبَعْضِ أَصحَابِه: «**لَا تُكْثِرِ الشُّخُوصَ من بَيْتِكَ إِلَّا لأَمْرٍ لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ، وَلَا تَجلِسْ فِي مَجْلِسٍ لَا تَسْتَفِيدُ فِيهِ عِلْمًا**»[«ترتيب المدارك»(63/2)].


كتاب جامع بيان العلم وفضله
وما ينبغي في روايته وحمله
عني بتأليفه وجمعه الفقيه الحافظ الإمام أبو عمر
يوسف بن عبد الله بن محمد المالكي
ابن عبد البر النمري رحمه الله


طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

ترتيب المدارك وتقريب المسالك
لمعرفة أعلام مذهب مالك

تأليف
القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي
المتوفى سنة 544 هـ

الجزء الثاني

تحقيق:
عبد القادر الصحراوي

الطبعة الثانية
1403 هـ - 1983م

- وصيَّةٌ:

وقال خالد بن حميد: سمعتُهُ يقولُ: «**عَلَيْكَ بِمُجالَسَةِ مَن يَزِيدُ فِي عِلْمِكَ قَوْلُهُ، وَيَدْعُوكَ إِلَى الآخِرَةِ فِعْلُهُ، وَإِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ مَنْ يُعَلِّلُكَ[1] قَوْلُهُ، وَيَعِيبُكَ دِينُهُ، وَيَدْعُوكَ إلى الدُّنْيَا فِعْلُهُ**»[«ترتيب المدارك»(64/2)].

- وَصِيَّتُهُ لِلشَّافِعِي:

قال الشافعي: قال مالكٌ عند وداعه: «**يَا أَبَا عَبْدِ الله! اتَّقِ اللهَ، وَلَا تُطْفِئ هذا النُّورَ بِالمَعْصِيَةِ**»[«انتصار الفقير السالك» للراعي االأندلسي (ص179)].

- وَصِيَّتُهُ لِيَحيى بن يحيى اللَّيْثِي:

رُوي عن يحي بن يحيى الليثي قال: آخر ما اجتمعتُ بمالِكٍ، قال: «**أَذْكُرُ لَكَ شَيئًا تَبْلُغْ بِهِ حِكمَةَ الحُكماء: إذا حَضَرْتَ مجلسًا فاستعمِل الصَّمْت، فإِنْ أصابُوا استَفَدتَ، وإِنْ أَخطَأُوا سَلِمتَ -وَشيئًا تَبْلُغُ بِهِ عِلمَ العُلماء: إذا سُئلتَ عَمَّا لَا تَعلَم فَقُل: لا أَعْلَمُ- وَشيئًا تَبلُغُ به طِبَّ الأَطباء: لا تأكُلْ حَتَّى تَجُوع، وارْفَع يَدَكَ وَأَنتَ تَشْتَهِي**»[«رياض النفوس» لأبي بكر المالكي(1/335-336)].

ـ وَقال يحيي: لما وَدَّعت مالكًا سَألتُهُ أَن يُوصِيني. فقال لي: «**عَلَيكَ بِالنَّصِيحَةِ للهِ، وَلِكتابِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسلِمين وَعَامَّتِهِم**»[«ترتيب المدارك»(383/3)].

1) أي: يُلْهِيكَ. انظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (علل).

أدب الرحلات

من رحلات الشّيخ
الأزهري ثابت

كتب الشيخ لزهاري بن الأخضر ثابت (حفظه الله تعالى) مُذكِّراتٍ وَذكرياتٍ عَن رِحْلَاتِهِ، وجدتُها بخطِّ يدِهِ ضِمنَ أوراقِهِ المَحفوظة في ملَفاتٍ مُعنونَة و(مُؤَرْشَفَة) ومُرقَّمَة على عادتِهِ (حفظه الله) في ترتيب وتنظيم ما يَكتبُهُ.... وَمِن هذه الرِّحْلَات المُدَوَّنَة:

- من رحلات الطفولة: الجزائر الثلاثينات (1936-1938): (الرحلة الأولى).
- رحلة إلى قسنطينة (مع عمي الحاج بلقاسم): 1942.
- رحلة إلى الأوراس: 1942- رحلة إلى قسنطينة مع والدي: 1943.
- جولة أولاد مدرسة القل(1952)،
- رحلة إلى الغرب الجزائري1969.
- رحلة إلى الجزائر، ندوة في القطار (1971).
- رحلة إلى الديار المقدسة (73-1974).
- رحلة العزاء [في] ابنة سعد الله (1983).
- رحلة إلى تلمسان، الملتقى الفكري (1982).
- رحلة إلى قسنطينة، الملتقى الفكري (1983): وغيرها....

• وأنتقِي هنا منها جزءً من (رحلات الطفولة).

قال (حفظه الله):

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله:

رحلات الطفولة (1936)

التي بقيت عالقة في ذهني

قبل الدخول في بداية الرحلة المدرسية كان لزامًا عليَّ.... أن أستعرض مقدمة وجيزة حتى ندخل في الموضوع:

أقول: في «المْغَيَّرْ» نشأتُ وفيه حفظت القرآن في سن مبكر على الطالب سي الجموعي سبع وعلي بن عقورة والطالب سي الطاهر بوزوائد. بالإضافة إلى تعلمي المبادئ العربية على الشيخ بن خليل رحمه الله ووالدي.

حدا الشوق بأبي إلى التحاقي بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة رفقة أحد الأقارب (عمي عقبة) سنة 1935 في كفالته فامتطيت القطار بثمن 1 ف إلى بسكرة ومنها على حافلة أمبروزي بسعر 55 ف(أي أحد عشر دورو) وفي الجزائر وصلنا سالمين وقصد بي إلى منزله وفيه أم الأولاد ومن يذوذ بالمنزل المتواضع بحي الجامع الكبير.

ثم مباشرة إلى المقصود؛ المدرسة الثعالبية التي طلبت مني في البداية شهادة الازدياد ومع الأسف لم تكن لي شهادة لأنني ولدت في منطقة التراب العسكري والمنطقة بصفة عامة لا تزال ترزح في تأرجح ولم ينظر إليها الحكم الفرنسي بحكم المدنيِّين أمثال بسكرة وما فوقها... لذلك لم أتتلمذ في المدرسة لهذا التخلف فلجأت إلى مدرسة قرآنية على رواية ((قالون)) بواسطة الشيخ العلوي رزوق خليل فأدخلني صحبة ولده عبد الحليم ولقد استفدت فيها الكثير فراجعت الربع الأول قراءة بالوقف والصلة كما تزودت من الدروس الفقهية والنحو [الفضل لله وللمعلمين جزاهم الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة]

المدرسة القرآنية

هذه المدرسة تقع في حيّ «سُوزْ أَسْطَارَهْ» في ذلك العهد القديم كنا نسير إليها بعد صعود سلاليم ومدرجات كثيرة العد والعدد من أحياء الجامع الكبير إلى ساحة الشهداء وجامع كتشاوة ثم تسلقًا على المدارج إلى سوق المكاسير ثم هكذا إلى المدرسة و.... في حين إنني لم أشعر لا بتعب ولا نصب لا ذهابًا ولا إيابًا... وكيف لا...؟ وأنا في حالة المراهقة أو بداية عنفوان الشباب.

حالنا في المدرسة العلوية المكتظة بالصبيان والفتيان والفتيات. تحت معلمي القرآن ومبادئ الفقه والقواعد العربية نتناول حصص الصباح والمساء فيها بكل شوق

واشتياق.
أتذكر أن يومًا وجه لنا الدعوة الشيخ الكبير المشرف على المدرسة الدعوة إلى حضور احتفال بزفاف إحدى العائلات الثرية المعتبرة فاختار من الجميع تلامذة يعدون على الأصابع ومن بينهم كاتب هذه الصفحة....
ها نحن في دار الزفاف بين حلقة مستديرة في وسط الفناء والأضواء من كل جانب حولنا والنساء فوق السطح العاري يزغردن ويولولن وبدأت حلقة الذكر يقودها شيخ وإمام الطريقة وعلت الأصوات وكثرت الزفرات ثم وقف من كان جالسًا في الحلقة وباتت الحلقة تدور وفي وسطها الإمام الذي يشير يديه ويعَض على لسانه ويحملق ويتمايل وتداخلت الأصوات في بعضها هذا لا يفهم هذا ثم راح البعض من المشايخ يتساقطون على الأرض من شدة التأثر والله أعلم.

رحلة الشواطئ المدرسية

وفي سيدي فرج الميناء العظيم والمسبح الطويل العريض حططنا رحلنا ونزلنا جميعا وقصدنا العوم والسباحة على شاطئه الزاخر وأمياهه الرقراقة الصافية ورماله الذهبية الوهاجة. وكل على حذا يسبح فالبنون بنون في منطقة البحر والبنات بنات في منطقة من المسبح المغطى بعيدون هذا عن تلك.... وكلنا تحت رقيب ورقباء من الغرق أو ما يتبعه.
وبعد هذه المتعة والنزهة الزوالية التي دامت إلى المساء. قفلنا راجعين إلى ما بَعُدَ 20 ميلا ثم إيابا 15 ميلا ثم 13 ميلا إلى انتهاء المطاف أي قرابة خمسة عشر فرسخا ويزيد ما بين الذهاب والإياب. 15×3=45 كلم. ثم عدنا راجعين على جهات لم نعرفها على سوا حل ا لبحر وهكذا حتى عرجنا على العاصمة دواليك شارعا فشارعا ودخلنا على الأبيار ومنه حتى ثكنة علي خوجه الحالية... حيث باب جديد الذي يقرب من مدرستنا القرآنية التي هي اختتام الرحلة الشيقة والحمد لله رب العالمين.

وصف الرحلة الصيفية

تبتدئ من مدرستنا القرآنية إلى سيدي فرج مارين على الشواطئ البحرية أصطوالي وغيره. ثم إيابا على ساحل البحر...
أتذكر أننا صعدنا الحافلة بنون وبنات وهن في المقدمة ولقد كان منا القائم والقاعد والأول قليل وعلت الأصوات بالأناشيد المدرسية الدينية منها والوطنية...وأتذكر من بين الأناشيد:

يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُرْضِيكَ أَنَّا
إِخْوَةٌ فِي اللهِ بِالإِسْلَامِ قُمْنَا
نَنْفِضُ اليَوْمَ غُبَارَ النَّوْمِ عَنَّا
لَا نَهَابُ المَوْتَ لَا بَلْ نَتَمَنَّى
أَنْ يَرَانَا اللهُ فِي سَاحِ الْفِدَا

....
يتبع.

الأزهري ثابت

جوابٌ فِي طلبِ العِلم

[مَخطوطٌ يُنشَر لأَوَّلِ مرةٍ]

لعبد الحق الإشبيلي ثمَّ البِجَائي

ترجمتُهُ[1]:

هو أبو محمد، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم، الأزدي، الإشبيلي (نَشأةً)، ويُعرَف بابن الخَرَّاط، ولد في ربيع الأول سنة (510هـ) وقيل: (514هـ).

شيوخُهُ:

لازم بـ«لبلة» أبا الحسن خليل بن إسماعيل، وقرأ عليهِ وتفقَّه بِهِ وتأدَّبَ[2].

روى عن أبي الحسَن شريح بن محمد الرعيني، وأبي الحكم بن بَرَّجَان، وعمر بن أيوب، وأبي بكر بن مدير، وأبي الحسن طارق بن يعيش، والمحدِّث طاهر بن عطية، وأجاز له ابنُ عساكر وغيره.

نُزوله بجاية:

نزل بجاية –بعد سنة (550هـ)- وقت فتنة الأندلس بانقراض الدولة اللَّمْتُونِيَّة، فبَثَّ بِها عِلمَه، وصنَّف التَّصانيف، ووَلِيَ الخُطبة والصلاةَ بجامعها الأعظم، وجلس للوثيقة والشهادة وَوَلِيَ قضاء بجايةَ مدةً قليلةً، وَكان يُسمِعُ بمسجِدِهِ بِحَوْمَة اللؤلؤة مِن داخِل بجاية.

عبادته وزهده وأخلاقه:

قال الغبريني (ص42): «سمعتُ أَنَّهُ –رحمه الله- كان يقسم ليلَه أثلاثًا: ثُلُثًا للقراءة، وثُلُثًا للعبادة، وثُلُثًا للنوم»اهـ.

وقال (ص44-43): «وكانت له أخلاقٌ حسنةٌ فاضلة». ونقل عن بعض شيوخه أنه كان: «مُتخَلِّيًا عن الدُّنيا، وكان كثيرًا ما يجلس مع الفقيه أبي علي المسيلي رحمهما الله، فرُبَّمَا أتته الوَصِيفَةُ مِن داره لقضاء بعض مآرب منزله، فإذا أَتَتْهُ تَطلُبُ منه ما يُقضَى بالشيء اليسير، يُخرِجُ لها -قال:- أضعافَ ذلك.. فرُبَّما قال له بعض الحاضرين: هذا أكثرُ مِن المطلوب أو مِن المحتاج إليه، فيقول: «لا أَجمَعُ على أهل المنزل ثلاث شِينَات: شيخ وإشبيلي وشحيح، يكفي ثِنتان». وهذا من لَوْذَعِيَتِهِ وطِيبِ طِينتِهِ مع ما هو عليه من جلال العِلم وكمال الفهم -رحمه الله-».

منزلتُهُ وما قيلَ فيه:

قال ابن الأبَّار: «كان فقيهًا حافظًا عالمًا بالحديث وعِلَله ورجاله، مَوصوفًا بِالخَير والصَّلاح والزُّهد والوَرَع والتَّقلُّل مِن الدُّنيا، مُشاركًا في الأدب وقَول الشِّعر»اهـ.

وقال النووي: «الإمام الحافظ الفقيه الخطيب»اهـ.

وقال ابن الزبير الثقفي: «كان –رحمه الله- من أهل العلم والعمل، زاهدا فاضلاً، عاكفًا على الاشتغال بالعلم، جادًّا في نشره وإذاعته، حسنَ النيةِ فيه؛ ولذلك اشتهرَ ذِكرُه، وعني الناس بتواليفِه»اهـ.

وقال الغبريني: «الإمام الشيخ الفقيه الجليل، المحدِّث الحافظ المتقن المجيد، العابد الزاهد، القاضي الخطيب»اهـ.

وقال ابن قنفذ القسنطيني: «الشيخ الفقيه الخطيب القاضي المحدِّث».

وقال الذهبي: «الحافظ العلَّامة الحُجَّة»،«الإمام الحافظ البارع المجوِّد العلَّامة»اهـ.

تصانيفُهُ:

الأحكام الكبرى، في الحديث[3].

ـ الأحكام الصغرى[4].

ـ الأحكام الوسطَى[5].

ـ الجمع بين الصحيحين[6]. قال الذهبي في «السِّيَر» (21/199): «بلا إسناد على ترتيب مسلم، وأتقَنَه، وجوَّدَه»اهـ.

ـ مختصر كتاب الكفاية في علم الرِّواية.

ـ تلقين المبتدِي[7]، ورُبَّمَا هو: كتاب تلقين الوَلِيد، في الحديث، سِفر صغير[8]، جَمَعَهُ للأخوَيْن: أبي عبد الله الحُسَين وأبي محمد الحَسَن؛ ابنَيْ أبي الحَسَن ابن القَطَّان[9].

ـ كتاب الزُّهد.

---

1) انظر: التكملة لكتاب الصِّلة لابن الأبَّار (ت 658هـ) (3/120-121-الهراس)، وَتهذيب الأسماء واللغات للنووي (ت 676هـ) (ص329-عطا)، وصِلة الصِّلة لابن الزبير الثقفي (ت708ه) (القسم الرابع، ص7-4)، ط. وزارة الأوقاف المغربية، وَعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية للغبريني (ت 714هـ) (ص41-نويهض)، وَتذكرة الحفاظ للذهبي (ت 748هـ) (4/97-98- العلمية)، وَسير أعلام النبلاء له (21/198-202)، وَتاريخ الإسلام له أيضًا (12/729-731-بشار)، وَطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (ت 744هـ) (4/125-127)، وَالوافي بالوفيات للصفدي (ت 764هـ) (18/39-40- دار إحياء التراث)، وَالدِّيباج المذهب لابن فرحون (ت 799هـ) (2/59-61- أبو النور)، وَالوفيات لابن قنفذ (ت 809هـ) (رقم 582) (ص293)،، وَشذرات الذهب لابن العماد (ت 1089هـ) (4/271- الأرنؤوط).

2) انظر: صِلة الصِّلة لابن الزبير الثقفي (القسم الرابع، ص4).

3) طبع في مكتبة الرشد، الرياض، بتحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، سنة 2001م.

4) طبع في مكتبة ابن تيمية، القاهرة، وَمكتبة العلم، جدة، بتحقيق: أم محمد بنت أحمد الهليس، وتقديم خالد العنبري، سنة 1993م.

5) طبع في مكتبة الرشد، الرياض، بتحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي وَصبحي السامرائي، سنة 1995م.

6) طبع في دار الغرب الإسلامي، بتحقيق: طه بوسريح التونسي، سنة 2004م.

7) «نفح الطيب» (2/164- إحسان).

8) «الديباج» (2/61). طُبع في دار الكتب العلمية،بتحقيق: بدر العمراني، سنة 2003م. وطبع قديما بتطوان سنة 1952م.

9) «الذيل والتكملة» للمراكشي (4/389-الغرب الإسلامي).

ـ كتاب العاقبة في ذِكر الموت[1].

ـ كتاب التَّهجُّد[2].

كتاب الرَّقائِق.

ـ كتاب التوبة، في سِفرين.

ـ كتاب الرقائق والأنيس في الأمثال والمواعظ والحكم والآداب من كلام النبي ﷺ والصالحين.

ـ كتاب فضل الحج والزيارة.

ـ مقالة الفقر والغنى.

ـ معجزات الرسول ﷺ، في سِفر.

كتابُ الغريبَين في اللغة: كتابٌ حافل ضاهَى به كتاب الهَرَوِيِّ. ولعلَّهُ الكتاب الآتي:

ـ كتاب الوَاعِي في اللغة، وهو نحو خمسة وعشرين سِفْرًا.

ـ قال الغبريني (ص43): «وسمعتُ من بعض الطلبة أَنَّهُ أَلَّفَ كتابًا في اللُّغة سمَّاهُ بِـ«الحاوي»، وهو في ثمانية عشر مجلدًا».

ـ كتاب المنير.

ـ مختصر كتاب الرُّشَاطِي في الأنساب من القبائل والبلاد[3]، وهو في سِفرين. قال الغبريني (ص42): «وهو أحسن من الأصل».

وفاتُهُ:

تُوفِّي بعد مِحنةٍ لَحِقَته مِن الدَّولة؛ في أواخر ربيع الآخر سنة (582هـ)، عن إحدى وسبعين (71) سنة، وقبرُهُ خارج باب المرسَى.

وصف المخطوطة:

هي مِن محفوظات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء، ضمن مجموع برقم (153/10)، تقع في ورقة واحدة، خطها مغربي، مسطرتها: (31)، مقاساها: 140×200مم، وهي: جوابٌ عن سؤال حول طلب العلم وتحصيل الأدب، كما في فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية (1/212) (رقم 540)، نُسِبَ لعبد الحق الإشبيلي البِجائي، حيثُ كتب في آخر الجواب بخطٍّ مغاير: [مِن أجوبة الإمام سيدي عبد الحق الإشبيلي -رحمه الله-].

1) طبع في دار الصحابة للتراث بطنطا، بتحقيق: عبيد الله أبي عبد الرحمن المصري، سنة 1990م.

2) طُبع في دار الكتب العلمية،بتحقيق: مسعد السعدني ومحمد بن الحسن بن إسماعيل، سنة 2011م في طبعته الثانية، وعنوانه: «كتاب التهجد وما وردَ في ذلك مِن الكتب الصحاح وَعن العلماء والصلحاء والزهاد رضي الله عنهم».

3) وَعنوانه: اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في مناقب [أَنساب] الصحابة والرواة الأخيار. طُبع ما وُجِد مِن الأصل والمختصر في دار الكتب العلمية، بتحقيق: محمد سالم هاشم، سنة 1999م.



نصُّ الجواب:

الحمد لله، وسَألتُم -رحمنا الله وإياكم- عن طلب العلم، وهل الأَدب مِن العلم، تَعنُونَ: النَّحو واللُّغة والشِّعر، وعن الاِشتغال بروايات القُرَّاء السَّبعة المشهورين على اختلاف ألفاظها وأحكامها، وعن قراءة الحديث، وعن مسائل الرأي، فنعَمْ -وفقنا الله وإياكم لما يرضيه- الاِشتغالُ بِروايات القُرَّاء السبعة المشهورين وقراءة الحديث وطلب علم النَّحو واللُّغة، فَإِنَّ طلب هذا العلوم فرضٌ واجبٌ على المسلمين على الكفاية؛ بمعنى: من قام بطلبها حتى يَعُمَّ بِعلمِهِ بها تعليم من طَلَبَها وفُتْيَا مَن استفتاه فيها مِن أهل بلدة أو قرية، فإذا قام بذلك مَن يُفتي بهذا القطر سقط فَرضُ طلبها حينئذٍ على الباقين، إلاَّ ما يَخُصُّ كُلَّ إنسانٍ في نفسهِ مِن حفظٍ للقرآن، فهو حفظ أُمِّ القرآن وشيءٍ مِن القرآن معها ولو سورة أو آية، أيَّ سورةٍ كانت وأيَّ آيةٍ كانت، فهذا لا بُدَّ لكل أحدٍ منه، ثُمَّ طلب علم القرآن واختلاف القرآن واختلاف القُرَّاء السَّبعة فيه وضبط قراءتهم، كلهم فرضٌ على ما قدمناه على الكفاية، وفضلٌ عظيمٌ لِمَن طَلَبَه وإن كان في بلدة (صح)[4] كثير مِمَّن يُحكِمُه، وأجرُهُ جليلٌ، قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[5]، فكفى بهذا فضلاً، وقد أمر النَّبيُّ ﷺ بتعليم القرآن، فمَن تَعلَّمه فهُوَ خَيْرُنَا، ولو ضاع هذا الباب لذهب القرآن وضاع، وحرامٌ على المسلمين تضييعُه، وذهابُه مِن أشراط السَّاعَة، وكذلك ذهابُ العلم.

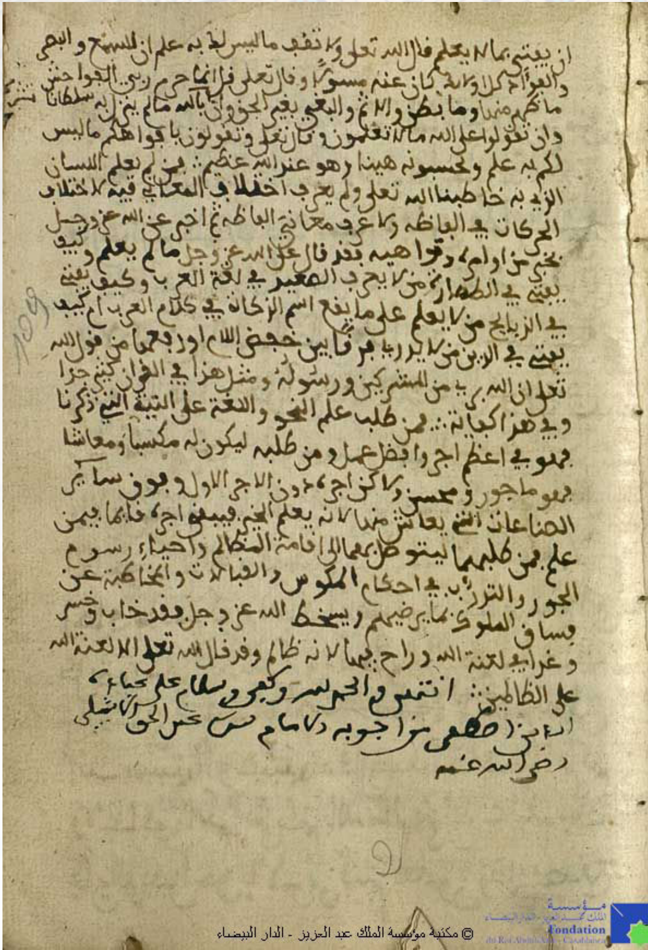
4) هكذا قرأتها من المخطوطة.

5) رواه البخاري (رقم 5027) مِن حديث عثمان -رضي الله عنه-.

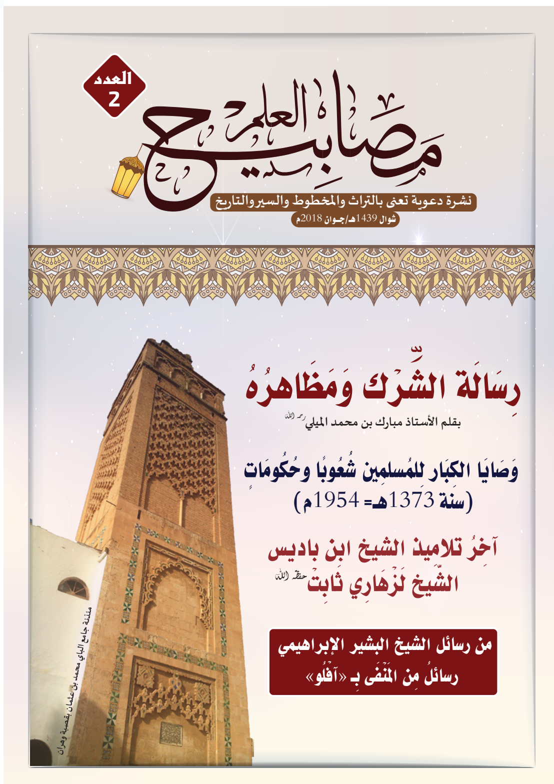
وأمَّا النَّحو واللُّغة ففرضٌ على الكفاية أيضًا كما قدَّمنا؛ لأنَّ الله -عزّ وجل- يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[إبراهيم:4]، وأنزل القرآن على نبيِّه ﷺ بلسانٍ عربيٍّ مُبين، فمَن لم يَعرف النَّحو واللُّغة فلم يَعلم اللِّسانَ الَّذي بَيَّن الله لنا دينَنا وخاطبنا به، ومن لم يَعلم ذلك فلا يَعلمُ دينَه، ومن لم يَعلم دينَه ففرضٌ عليه أن يَتعلَّمَه، ففَرضٌ علينا تعلُّم النَّحو واللُّغة لا بُدَّ منه على الكفاية كما قدَّمنا، ولو سقط علم النَّحو واللُّغة لسقط فهمُ القرآن وفهمُ حديثِ النَّبيِّ ﷺ، ولو سقط لسقط الإسلام، فمن طلب النَّحو واللُّغة على نِيَّة إقامة الشريعة بذلك، وليَفهم بها كلام الله -عزّ وجل- وكلام نبيِّه ﷺ، وليُفهمه غيرَه، فهذا أجرٌ عظيمٌ ومرتبةٌ عاليةٌ لا يجب التقصير عنها لأحد. وأمَّا وَسْمُ نَفسِه باسم العلم والفقه وهُو جاهلٌ بالنَّحو واللُّغة، فحرامٌ عليه أن يُفتي في دين الله -عزّ وجل- بكلمة. وحرامٌ على المسلمين أن يَستفتوه؛ لأنه لا عِلْمَ له باللِّسان الَّذي خاطبنا الله تعالى، وإذا لم يَعلمه فحرامٌ عليه أن يفتي بما لا يعلم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[الإسراء:36]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف:33]، وقال تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾[النور:15]. فمن لم يَعلم اللِّسان الَّذي خاطبنا الله تعالى، ولم يَعرف اختلاف المعاني فيه لاختلاف الحركات في ألفاظه، ولا عرف معانيَ ألفاظه، ثُمَّ أخبر عن الله -عزّ وجل- بخَبَرٍ مِن أوامره ونَوَاهيه، فقد قال على الله -عزّ وجل- ما لم يَعلم، وكيف يُفتي في الذبائح مَن لا يَعلم على ما يقع اسمُ الذَّكاة في كلام العرب؟ أم كيف يُفتي في الدِّين مَن لا يَدري فرقًا بين خفضِ اللَّامِ أو رَفعِها مِن قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[التوبة:3]؟، ومثل هذا في القرآن كثيرٌ جدًّا، وفي هذا كفاية.

فمَن طلب علم النَّحو واللُّغة على النِّيَّة الَّتي ذكرنا فهُو في أعظم أَجرٍ وأَفضل عملٍ، ومَن طلبَه ليكون له مَكسبًا ومعاشًا فهو مأجورٌ ومُحسن، ولكن أجرُه دون الأجر الأول وفوق سائر الصناعات التي يُعاش منها؛ لأنه يُعَلِّم الخير فيبقى أجرُه قائمًا فيمن عَلَّم، فمن طلبهما ليتَوصل بهما إلى إقامة المظالم وإحياء رُسوم الجَوْر والتَّدرُّب في أحكام المُكُوس والقبالات والمخاطبة عن فُسَّاق الملوك بما يُرضيهم ويُسخط الله -عزّ وجل-، فقد خاب وخسر، وغَدَا في لعنة الله وراح فيها؛ لأنه ظالمٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود:18].

انتهى والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى. من أجوبة الإمام سيدي عبد الحق الإشبيلي -رحمه الله-.







مِن شِعرِ الزُّهْدِ وَالحِكَم وَالوَصَايَا

لعبد الحق الإشبيلي ثمَّ البِجَائي

قال ابن الزبير الثقفي في ترجمة عبد الحق البِجائي: «كان شاعرًا مَطبُوعًا، يُزاحِم فُحُول الشُّعراء، ولم يُطلِق عنانَهُ في نَظْمِه[1]، بل اقتصرَ على باب الزُّهد وما يَرجع إليه، ونظمُهُ في ذلك حسَنٌ -رحمه الله-»اهـ[2].

قال الغبريني (ص43): «رأيتُ كتابًا مجموعًا مِن شِعره، كلُّه في الزُّهد وفي أمور الآخرة -رحمه الله-»اهـ.

1ـ قال ابن الأبار القضاعي في ترجمة «مروان بن عمار بن يحيى من أهل بجاية» (ت نحو 610هـ)، عن صاحبِه: أبي الربيع بن سالم قال: «أنشدني -رحمه الله- قال: أنشدني أبو محمد عبد الحق -يعني: الإشبيلي- لنفسه -رحمه الله-:

لَا يَخْدَعَنَّكَ عَـنْ دِيـنِ الـهُـدَى نَفَرٌ
لَمْ يُرْزَقُوا فِي الْتِمَاسِ الحَقِّ تَأْيِيدَا

عُمْيُ القُلُوبِ عَـرُوا عَـنْ كُـلِّ مَعْرِفَةٍ
لَكِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ تَقْلِيدَا»اهـ[3].

2ـ وقال أيضًا في ترجمة «الفضل بن أحمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، مِن أهل «بجاية»، وأَصْلُ سَلَفِهِ مِن «أَشِير»، يُعرَف بابن محشوة.. وكان أبوه قاضيًا ببجاية»[4]: «وأنشدنا أبو الربيع بن سالم عنه، قال: أنشدني أبو محمد عبد الحق لنفسه:

قَالُوا صِـفِ الـمَـوْتَ يَا هَـذَا وَشِـدَّتَـهُ
فَقُلْتُ وَامْـتَـدَّ مِنِّي عِنْدَهَا الصَّوْتُ

يَكْفِيكُمْ مِنْهُ أَنَّ النَّاسَ إِنْ وَصَفُوا
أَمْـرًا يَرُوعُهُم قَالُوا هُوَ المَوْتُ»اهـ.

3ـ قال الذهبي: «ما أحلى قَولَه وأَوْعَظَه إذ قال:

إِنَّ فِـي الـمَـوْتِ وَالـمَـعَـادِ لَشُغْلًا
وَادِّكَـــارًا لِـذِي الـنُّـهَـى وَبَـلَاغَـا

فَـاغْـتَـنِـمْ خِطَّتَيْنِ قَـبْـلَ المَنَايَا
صِحَّةَ الجِسْمِ يَا أَخِي وَالفَرَاغَا»اهـ[5].

1) في مطبوعة «سير أعلام النبلاء» (21/201): نطقه!
2) «صِلة الصِّلة» لابن الزبير الثقفي (القسم الرابع، ص5).
3) «التَّكملة لكتاب الصِّلَة» (2/187- الهراس).
4) «التَّكملة لكتاب الصِّلَة» (4/58).
5) «سير أعلام النبلاء» (21/201)، و«الوافي بالوفيات» (18/40).

4ـ قال تلميذه أبو الحجاج بن الشيخ في كتابه «ألف باء» (1/28):

«وأنشدني الفقيه المحدّث أبو محمد عبد الحق الأزدي لنفسِهِ:

يَـا طَـالِـبًـا لِـلْـعِـلْـمِ مُـسْـتَـرْشِـدًا
مُسْتَنْصِحًا إِنْ قَـبِـلَ النَّاصِحَا

إِنْ كُـنْـتَ تَـبْـغِـي سَـنَـنًـا قَـاصِـدًا
وتَـسْـأَلُـنِـي عِـلْـمًـا وَاضِـحَـا

فَـارْكُـضْ إِلَـى الـنَّـصِّ مَـطِـيَّ السُّرَى
فَـــإِنَّ فِـيـهِ الـمَـتْـجَـرَ الـرَّابِـحَـا

وَاطْـــرَحِ الـــرَّأْيَ وَأَصْـحَـابَـهُ
وَلَا تَـكُـونَـنَّ لَـهُ لَامِـحَـا»اهـ.

5ـ وقال في (1/165):

«وأنشدني الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي -رحمه الله- ببجاية -حماها الله- لنفسِهِ قطعة حسنة أوّلها:

لَا تَـبْـكِ خِـلًّا وَلَا انْـقِـطَـاعَـهُ
وَلَا لِأَسْـــرَارِكَ الـمُـذَاعَـهْ

وَابْـــكِ زَمَـــانًـــا مَـضَـى ووَلَّـى
عَـنْـكَ وأَيَّـامَـكَ الـمُـضَـاعَـهْ

وَارْجِـــعْ إِلَـى الـلـهِ مِـنْ قَـرِيـبٍ
وَاخْـــشَ تَـجَـلِّـيـهِ وَاطِّـلَاعَـهْ

لَـعَـلَّـهُ أَنْ يَـــرَاكَ فِـيـمَـنْ
قَـصَّـرَ عَـمَّـا يَـرِيـبُ بَـاعَـهْ

وَإِنْ تَـشَـا أَنْ تَـنَـالَ عِـزًّا
بِـغَـيْـرِ مَـالٍ وَلَا جَـمَـاعَـهْ

فَـاقْـنَـعْ بِـقُـوتٍ وبَـعْـضِ قُـوتٍ
فَـإِنَّـمَـا الـعِـزُّ فِـي الـقَـنَـاعَـهْ

وَلَا تَـسَـلْ فَـالـسُّـؤَالُ ذُلٌّ
حَـاشَـاكَ مِـن تِـلْـكُـمُ الـصِّـنَـاعَـهْ

وَاصْـبِـرْ عَـلَـى حَـادِثِ الـلَّـيَـالِي
وَاتْـــرُكِ الـــذُّلَّ والـضَّـرَاعَـهْ

فَـإِنَّـمَـا عُـمْـرُكَ الـمُـرَجَّـى
هَـذَا إِذَا نِـلْـتَـهُ كَـسَـاعَـهْ»اهـ.

6ـ وَقال في (479-1/478) عند قولِ مَن قال: «يا ابن آدم! إن تَبْذُلِ الفَضلَ خيرٌ لك، وإن تُمسِكْهُ شرٌّ لك، ولا تُلَامُ على كَفَافٍ»:

«أخذ هذا المعنى شيخي أبو محمد عبد الحق -رحمه الله-؛ فقال وأَنشدَنيه:

دَعِ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَجَافِي
بِنَفْسِكَ عَنْ مُزَاحَمَةِ العَوَافِي[1]
وَخُذْ مِنْهَا كَفَافًا مِنْ حَلَالٍ
فَإِنَّكَ لَا تُلَامُ عَلَى كَفَافِ»اهـ.

7ـ وَقال في (1/484):

«ومما أَنشدَنِيه أبو محمد عبد الحق -رحمه الله- لنفسِهِ من قطعةٍ أولها:

رَأَيْتُ القَنَاعَةَ أَغْنَى الغِنَى
فَصِرْتُ بِإِمْسَاكِهَا أَمْتَسِكْ
وَأَعْتَقْتُ نَفْسِي وَلَمْ أَشْرِهَا
بِبَخْسٍ فَتُمْلَكَ فِيمَنْ مُلِكْ
فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ أَتِيهُ
عَلَى النَّاسِ تِيهَ المَلِكْ»اهـ.

8ـ وَقال في (2/595):

«وأنشدني الفقيه أبو محمد عبد الحق لنفسه ببجاية حماها الله تعالى:

لَـكَ الوَيْلَاتُ مِنْ ذَنْبٍ حَدِيثٍ
وَآخَرَ فِي صَحِيفَتِهِ قَدِيمِ

تَمَادَى فِي الغِوَايَةِ وَاسْتَمَرَّتْ
مَرِيرَتُهُ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ

وَمَنْ يَعْصِ الإِلَهَ فَمَا لَهُ مِنْ
صَدِيقٍ فِي الوُجُودِ وَلَا حَمِيمِ

فَلَا تَيْأَسْ لَهُ فَلَعَلَّ رُحْمَى
سَتُدْرِكُهُ مِنَ المَلِكِ الرَّحِيمِ

فَتَلْقَاهُ كَمَا لَقِيَتْ أَبَاهُ
وَقَدْ قَذَفَتْ بِهِ رِجْلاً هُمُومُ[2]

وَإِنِّي فِيهِ مُنْتَظِرٌ رَجَائِي
بِذَاكَ فَمَا رَجَوْتُ سِوَى الكَرِيمِ»اهـ.

9ـ وَقال في (2/587):

«ومن أحسن ما أحفظه من الشِّعرِ في هذا المعنى ما أنشدنيه الفقيه أبو محمد عبد الحق ببجاية لنفسه -رحمه الله-:

وَلَا تَلْوِ نَحْوَ الجَزَعِ رَأْسًا فَإِنَّهُ
بِإِمْسَاكِ مَا يَلْوِي إِلَيْهِ مُعَوَّدُ

من قطعةٍ أولها:

ثَمِلْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ تَصْحُ عَنْ هَوَى
وَغَرَّكَ أَنْ قَالُوا فُلَانٌ مُسَوَّدُ

وَحَلَّتْ بِكَ البَلْوَى وَلَمْ تَرَ عَائِدًا
وَلَوْ قُلْتَ وَا رَأْسَا لَعَادَكَ عُوَّدُ

وفي آخرها يقول:

فَهَاكَ صَبَاحَ الشَّيْبِ لَاحٍ وَإِنَّمَا
بِرَأْسِكَ مِنْهُ لِلْمَنِيَّةِ مِقْوَدُ

فَشَمِّرْ ذُيُولَ الغَيِّ وَانْأَ عَنِ الهَوَى
لَعَلَّكَ تَسْمُو عِنْدَهَا وَتُسَوَّدُ

وَلَا تَلْوِ..........................
..........................البَيتَ»اهـ.

10ـ وَقال في (2/510):

«....أنشدني لنفسه:

ضَحِكَ الشَّيْبُ فَوْقَ رَأْسِي فَأَغْرَبْ
إِذْ رَآنِي ذَهَبْتُ فِي غَيْرِ مَذْهَبْ

هُوَ يَنْعَى إِلَيَّ فِي الحِينِ[3] نَفْسِي
وَأَنَا جَانِبًا[4] أَخُوضُ وَأَلْعَبْ

وَإِذَا لَمْ تُنَادِ إِلَّا جَمَادًا
فَمِنَ العِيِّ مَا تَرُومُ وَتَطْلُبْ

من قطعة آخرها:

أَحْسَنَ اللَّهُ لِي عَزَايَ بِنَفْسِي
إِنْ يَكُنْ يَحْسُنُ العَزَاءُ لِمُذْنِبِ»اهـ.

1) في «صِلة الصِّلة» (القسم الرابع، ص5): القوافي.

2) وذكره أيضًا في (2/415)؛ قال: «ولله دَرُّ شيخي أبو محمد عبد الحق إذ يقول:

فَلَا تَيْأَسْ لَهُ فَلَعَلَّ رُحْمَى *** سَتُدْرِكُهُ مِنَ المَلِكِ الرَّحِيمِ
فَتَلْحَقُهُ كَمَا لَحِقَتْ أَبَاهُ *** وَقَدْ قَذَفَتْ بِهِ رِجْلًا سُمُوم»اهـ.

3) في (2/365): في الحال.

4) في هذا الموضع من المطبوع: جانيًا. وَفي (2/365): جانبًا.

11ـ وقال في (2/485):

«أنشدني الفقيه أبو محمد عبد الحق -رحمه الله- ببجاية لنفسه يمدح رسول الله ﷺ فقال:

بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُود
فِي مُضَرَ الحَمْرَاء مَعْدُود

جَاءَ بِهِ اللهُ عَلَى غِرَّةٍ وَ
النَّاسُ فِي الكُفْرِ عَبَادِيد

أَرْسَلَهُ مِنْ خَيْرِهِمْ مَحْتَدًا
مِنْ حَيْثُ لِلْعَلْيَاءِ تَشْيِيد

مِنْ حَيْثُ مَاءُ الجُودِ مُسْتَعْذَبٌ
غَمْرٌ وَظِلُّ العِزِّ مَمْدُود

مِنْ هَاشِمِ الخَيْرِ وَمِنْ زُهْرَةِ الـ
ـمُنْتَخِبِ الغُرِّ الصَّنَادِيد

أَشْرَقَتِ الأَرْضُ لإِتْيَانِهِ
فَاخْضَرَّ مِنْ مَبْعَثِهِ العُود

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مِنْ مُرْسَلٍ
مَا دَامَ تَسْبِيحٌ وَتَمْجِيد

وَعَلَّ يَوْمَ الحَشْرِ أَكْبَادَنَا
حَوْضٌ لَهُ فِي الحَشْرِ مَوْرُود»اهـ.

12ـ وقال في (2/442):

«ورأيتُ في كتاب «البهجة» لشيخي أبي محمد عبد الحق -رحمه الله- بيتًا في قطعةٍ حسنةٍ شِينِيَّةٍ له أعجبتني؛ وَصَفَ في ذلك الشِّعرِ الصَّالِحين؛ ثم قال:

أُولَئِكَ القَوْمُ إِنْ عُدَّ الكِرَامُ فَهُمْ
وَإِنْ تُرِدْ دبشًا هَا نَحْنُ ذَا دَبَشٌ[1]»اهـ

13ـ وقال في (2/359):

«وَإِذَا كَانَتِ العِنَايَةُ مِنْهُ
جَاءَكَ السَّعْدُ أَيْنَمَا كُنْتَ تُحْضَر

وهذا البيتُ أنشدَنِيه الفقيه أبو محمد عبد الحق -رحمه الله- لنفسِه في قطعةٍ منها:

شَكَرَ اللهُ سَعْيَ قَوْمٍ فَفَازُوا
وَأَنَا لَمْ يَكُنْ لِي سَعْيٌ فَيُشْكَر

وَثَنَى مَنْ ثَنَى عِنَانَ التَّصَابِي
وَأَنَا مِثْلُ مَا عَهِدْتَ وَأَكْثَر

وَإِذَا العَبْدُ لَمْ يُمَدَّ بِرُشْدٍ أَنْجَدَ
الدَّهْرَ فِي الضَّلَالِ وَغَوَّر»اهـ.

14ـ وقال ابن الزبير الثقفي في «صِلة الصِّلة» (القسم الرابع، ص7-6):

«ومِن شِعره أيضًا:

يَا آمِنَ السَّاحَةِ لَا يُذْعَرُ
بَيْنَ يَدَيْكَ الفَزَعُ الأَكْبَرُ

وَالمَرْءُ مَنْصُوبٌ لَهُ حَتْفُهُ
لَوْ أَنَّهُ بِزَعْمِهِ يُبْصِر

وَهَذِهِ النَّفْسُ لَهَا حَاجَةٌ
وَالعُمْرُ عَنْ تَحْصِيلِهَا يَقْصُر

وَكُلَّمَا تُزْجَرُ عَنْ مَطْلَبٍ
كَانَتْ بِهِ أَهْيَمَ إِذْ تُزْجَر

وَرُبَّمَا أَلْقَتْ مَعَاذِيرَهَا
لَوْ أَنَّهَا يَا وَيْحَهَا تُعْذَرُ

وَنَاظِرُ المَوْتِ لَهَا نَاظِرٌ
لَوْ أَنَّهَا تَنْظُرُ إِذْ يُنْظَر

وَرَائِدُ المَوْتِ لَهُ طَلْعَةٌ
يُبْصِرُهَا الأَكْمَهُ وَالمُبْصِر

وَرَوْعَةُ المَوْتِ لَهَا سَكْرَةٌ
وَمِثْلُهَا مِنْ رَوْعَةٍ تُسْكِر

وَبَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مَنْزِلٌ
يَنْزِلُهُ الأَعْظَمُ وَالأَحْقَر

يَتْرُكُ ذُو الفَخْرِ بِهِ فَخْرَهُ
وَصَاحِبُ الكِبْرِ بِهِ يَصْغُر

قَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَهُ رَوْعَةٌ
نَكِيرُهُ المَعْرُوفُ وَالمُنْكَر

وَبَعْدُ مَا بَعْدُ، وَأَعْظِمْ بِهِ
مِنْ مَشْهَدٍ مَا قَدْرُهُ يُقْدَر

في أبياتٍ، وشِعرُهُ -رحمه الله- في هذا الغرض وما يَرجِع إليه كثيرٌ»اهـ.

1) الدبش أو القش: هو عند العامة متاع البيت الدُّون.

وَهْرَانُ الإِسْلَامِيَّة

قال الجغرافي الإدريسي (ت 560هـ) في كتابه: «نزهة المشتاق»[1]؛ الذي أَلَّفَه سنة (548هـ):

« «وهران» على مَقرُبةٍ مِن ضفَّة البحر الملِح، وعليها سُورُ تُرابٍ مُتقَن، وبها أسواقٌ مقدرة وصنائعُ كثيرة وتجاراتٌ نافِقَة، وهِي تُقابِلُ مدينة أَلْمرية مِن ساحل بحر الأندلس، وسَعَةُ البحر بينهما مجريان، وَمِنها أكثرُ مِيرَةِ ساحِل الأندلس، ولها على بابِها مَرْسَى صغير لا يَستُرُ شيئًا، وَلها على ميلين منها «المرسى الكبير»، وبِهِ تَرْسِي المراكب الكبار والسُّفُن السفرية، وهذا المَرْسَى يَستُرُ مِن الرِّيح، وليس لَهُ مِثالٌ في مَرَاسِي حائط البحرِ مِن بلاد البربر، وشُرْبُ أَهلِها مِن وادٍ يَجري إليها مِن البَرِّ، وعَلَيه بساتينُ وجنَّاتٌ، وبها فواكِهُ ممكنة، وأَهلُهَا في خَصْبٍ، والعَسَلُ بها مَوجُودٌ، وكذلك السَّمْن والزُّبْد، والبَقَر والغَنَم بها رخيصةُ بالثَّمَن اليَسِير، ومَراكِبُ الأَندلُس إليهَا مُختلِفة، وفِي أَهلِها دهقنَة وعِزَّةُ أَنْفُس وَنَخْوَةٌ»اهـ.

وَقال الحميري في كتابه: «الروض المعطار»[2]؛ الذي أَنْجَزَهُ سنة (866هـ):

«هِيَ مَدِينَةٌ كثيرةُ البَسَاتِين والثِّمَار، ولها ماءٌ سَائِحٌ مِن عُيُون وأَنهار وأَرْحَاء كثيرة، وهي مِن غُرِّ البِلَاد، ولها نظرٌ كبيرٌ، فِيهِ قُرًى كثيرةٌ وآثارٌ قديمةٌ، وَأَهلُهَا مَوصُوفُون بعِظَمِ الخَلْقِ وكمالِ القَامَة والأَيْد والشِّدَّة، يَكُونُ الرجل الكاملُ مِن غيرهم إلى مَنكِب الرَّجُل منهم، واقتطع رجلٌ منهُم ألف طَلْحَةٍ وحَمَلَها على ظَهره يُقِيمُ بها بيتًا يَسْكُنُهُ، ولِوهران مَرسًى كبيرٌ للسُّفُن يُكِنُّ مِن كُلِّ رِيحٍ؛ لأَنَّهُ في جون جَبَلٍ مُطِلٍّ على وهران مُرتَفِع.

وعلى وهران سُورُ تُرابٍ مُتقَن... » إلخ ما ذكره الإدريسيُّ قبلَهُ.

ونقل كلام الإدريسي أيضًا: محمود مقديش في «نزهة الأنظار في عجائب التورايخ والأخبار»[3]، وزادَ عليهِ فقال:

«وَكثيرًا ما يَتغلَّبُ عليهَا إفرَنجُ الأَندلُس مِن أَيدِي المسلمين، ثُمَّ يَفتَحُها المسلمون منهم، وَساعَةَ تاريخ الكتاب – سنة 1207 ؛ سبع ومائتين وألف- بِأَيْدِي المسلمين، فَتَحَهَا الأَمِيرُ محمد باي أَحدُ أُمَرَاء الجزائر سنة 1205 ؛ خمس ومائتين وألف، أَثَابَهُ اللهُ»اهـ.

---

1) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (1/252) طبعة مكتبة الثقافة الدينية 2002-1422م.

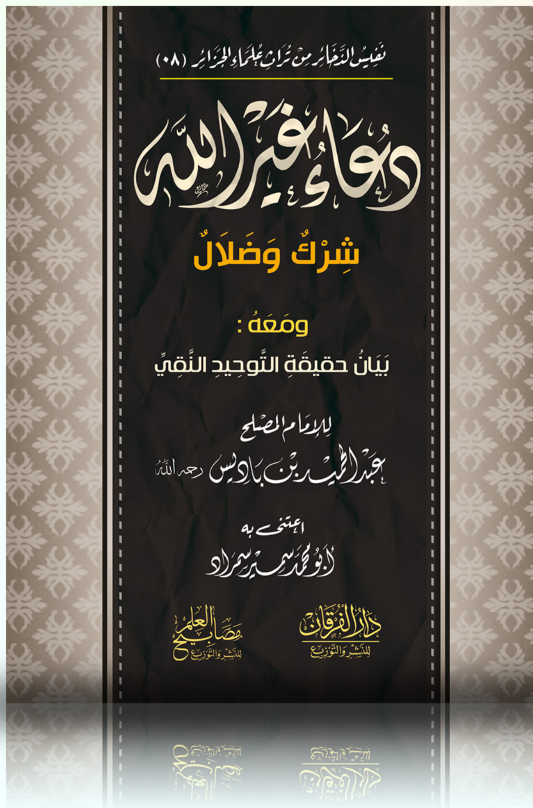
2) الروض المعطار في عجائب التواريخ والأخبار (ص613-612) تحقيق إحسان عباس، ط.مكتبة لبنان، ط2، 1984م.

3) نزهة الأنظار....(1/78-79)، ط. دار الغرب الإسلامي.

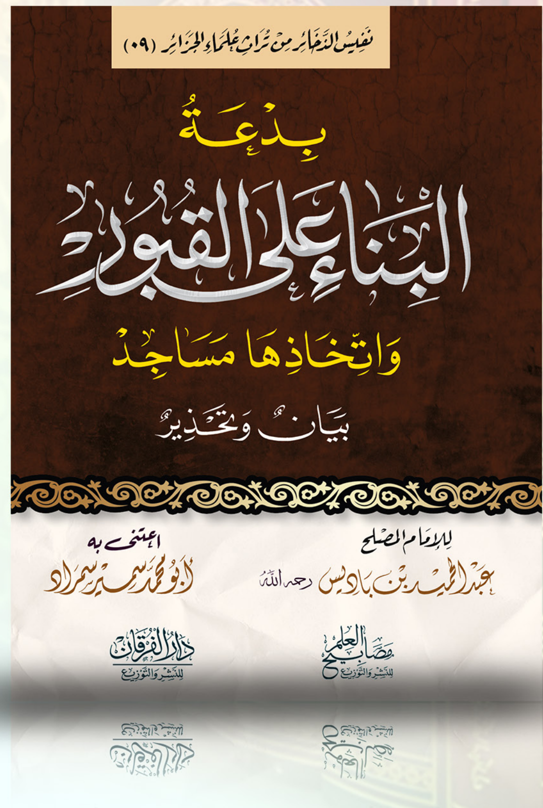
إصدارات



نفيس الذخائر من تراث علماء الجزائر (٠٧)
أَهمِّيَّةُ
التوحيد
وخُطورَةُ
الشرك
للإمام المصلح
عبد الحميد بن باديس رحمه الله
اعتنى به
أبو محمد سمير سمراد
مصابيح العلم للنشر والتوزيع
دار الفرقان للنشر والتوزيع



نفيس الذخائر من تراث علماء الجزائر (٠٨)
دعاء غير الله
شِرْكٌ وَضَلالٌ
ومَعَهُ :
بَيَانُ حقيقَةِ التَّوحِيدِ النَّقِيِّ
للإمام المصلح
عبد الحميد بن باديس رحمه الله
اعتنى به
أبو محمد سمير سمراد
دار الفرقان للنشر والتوزيع
مصابيح العلم للنشر والتوزيع



نفيس الذخائر من تراث علماء الجزائر (٠٩)
بِدْعَةُ
البناء على القبور
وَاتِّخاذِها مَساجِدَ
بيانٌ وتحذيرٌ
للإمام المصلح
عبد الحميد بن باديس رحمه الله
اعتنى به
أبو محمد سمير سمراد
دار الفرقان للنشر والتوزيع
مصابيح العلم للنشر والتوزيع

مصابيح العلم

للتواصل معنا

aboumohamedsamir@gmail.com

سمير سمراد


www.ilmmasabih.com


(00213) 557658006